القسم الثانى

فنون الشرق الأوسط القديم

فى عصر الأسرات

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

مصر

تمهيد :

آمن قدماء المصريين فى عهد الأسرات بأن ملوكهم من نسل الآلهة التى حكمت البلاد فى العصور البدائية . وكانت الحكومة ذات طابع دينى على رأسها ملك مؤله يمثل الإله الأعظم للقطر . وكان لكل مدينة إله خاص بها ، فى أول الأمر قبل توحيد البلاد ، وقد آمنوا بقوة هذه الآلهة وتأثيرها فى حياتهم. وكانوا يرمزون لها برموز ، أو ينحتون لها التماثيل ، كذلك شيدوا المعابد خصيصًا لوضعها فيها ، وقد تفنن الملوك فى العصور المتلاحقة فى طرق تشييد هذه المعابد ، إرضاء للآلهة ، كما تباروا فى إظهارها بمظهر الفخامة ، خصوصًا فى الدولة الحديثة . واستعملوا الأحجار فى تشييد هذه المعابد التى كانوا يقيمونها على حافة الصحراء بعيدة عن مياه الفيضان ، بعكس مبانيهم الدنيوية التى كانت تقام من اللبن وسط المزارع ، فزالت لعدم صلابة المادة التى بنيت منها ، وإلى جانب معابد الآلهة شيد المصريون معابد جنائزية للملوك . وذلك لتأدية الطقوس الجنائزية فى الأعياد بعد موت الملك .

وقد كان للمعتقدات الدينية أثر كبير فى حياة قدماء المصريين . ولعل أهمها اعتقاد المصرى فى حياة ثانية بعد الموت الذى لم يعتبره نهاية الحياة ، بل عده فترة قصيرة ينتقل بعدها الفرد إلى حياة أبدية على غرار الحياة الدنيا . وكان يعتقد أن الإنسان مركب من الجسم المادى والروح المادية « كا » وتعرف بالقرين ، وهى تعود إلى الجسد بعد الوفاة . كما اعتقد بوجود روح أخرى « با » تصعد إلى السماء وهى تمثل عادة على هيئة طائر . ولإيمانه بحياة ثانية .

كان لزامًا عليه أن يحافظ على جسده بعد الموت من التلف حتى تتعرف عليه القرين . فحنط الجسد واعتنى ببناء المقابر أكثر من اعتنائه بتشييد مساكنه الدنيوية ، ولمساعدة القرين على التعرف على الجثة إذا ما أصابها التلف ، كان يضع بالمقبرة رأسًا من الحجر الجيرى تحاكى شبه المتوفى توضع بعد حجرة الدفن . ويؤكد هذه الحيطة بصنع تمثال له يصور ملامحه بدقة ليحل محل الجثة إذا ما أصابها التلف . وكانت هذه المقابر تهيأ ليحيا فيها حياة تماثل حياته الدنيوية . لذلك وجب أن تكون صورة مماثلة لما كانت عليه حياته العادية ، فزودها بما يلزمه من أثاث . ولم تتعد فى أول الأمر بعض أوان بها طعامه وشرابه وأسلحته وحليه ومواد زينته . ولكن بتطور الزمن وضع فيها أرائك ومقاعد ... إلخ ، وتماثيل لمن يخدمون فى قصره . كما زينت الجدران بمناظر وصور تمثل حياته اليومية . وقد صورت فى بعض الأحيان الكثير من الحوادث والأخبار .

نستنتج مما سبق أن المعتقدات الدينية كان لها أثر كبير على الفن المصرى الذى يعتبر أن أساس نشأته الناحية الدينية ، وقد ساعد التمسك بهذه المعتقدات الدينية فى جميع عصور الأسرات على ازدهاره ووصوله إلى القمة . وحيث إنه — كما سبق أن عرفنا — لم يعثر على مبان دنيوية تذكر ، لذلك سنعتمد فى دراستنا للفن المصرى القديم على ما بقى لدينا من مقابر ومعابد دينية وجنائزية ، وماكانت تحتويه هذه المشيدات من أعمال فنية فى العهود المختلفة لحكم الأسرات .

وتعتمد معلوماتنا عن العصور التاريخية على بعض القوائم الحجرية[1] التى عثر عليها فى بعض القبور الملكية ومدون بها أسماء الملوك ، كما عثر على بردية محفوظة الآن بمتحف « تورين » ومدون عليها أسماء الملوك والحوادث . وبجانب بعض المصادر المصرية[2] توجد مصادر أخرى أجنبية ، وهى ما كتبه الكتاب اليونانيون الذين زاروا مصر منذ القرن السادس مثال « هيكانة » « المليتى » و « هيرودوت » « الإغريقى » الذى زار مصر عام ٤٣٠ ق . م . يضاف

(١) حجر بالرمو وهو حجر من الديوريت محفوظ الآن بمتحف بالرمو .
(٢) قائمة الكرنك وقائمة أبيدوس وقائمة سقارة .

إلى ذلك ما كتبه الكاهن المصرى « مانيتو Manetto »[١] عن تاريخ مصر الذى قسم فيه الأسرات إلى ثلاثين أسرة تكونت منها العصور المختلفة التى حكمت مصر وهى :

العصر الطينى – الدولة القديمة – عهد الاضمحلال الأول – الدولة الوسطى – عهد الاضمحلال الثانى – الدولة الحديثة – العصور المتأخرة .

وتتركز قصة الفن المصرى وتطوره فى أربع مراحل . المرحلة الأولى فى الدولة القديمة – والمرحلة الثانية فى الدولة الوسطى والمرحلة الثالثة فى الدولة الحديثة . وتتمثل المرحلة الأخيرة فى العهد الصاوى .

---

(١) كلف الملك بطليموس الثانى الراهب « مانيتو » فى حوالى عام ٢٨٠ ق . م بكتابة التاريخ المصرى وقد استعان فى ذلك بالسجلات التى وجدت فى المعابد وبذلك حصلنا على قائمة بأسماء الملوك .

obeikandl.com

الفصل الأول

العصر الطينى أو الثينى Thinite

ويشمل حكم الأسرتين الأولى والثانية

٣١٠٠ ق . م – ٢٦٥٠ ق . م[1] تقريباً

تمهيد تاريخى :

استمر حكم ذلك العهد حوالى أربعة قرون . ولقد عثر على مقابر ملوك الأسرة الأولى فى « أبيدوس » و « سقارة » كما عثر على قبرين لملكين من ملوك الأسرة الثانية فى « أبيدوس » . ولقد ثار جدل حول المركز الحقيقى لجبانة ملوك الأسرة الأولى فى ذلك العصر . مما دعا الأثريين للاعتقاد بأن جبانة الأسرة الأولى كانت بسقارة . وأن مدافن « أبيدوس » ما هى إلا مقابر رمزية . وذلك لوجود « ثيس » موطنهم الأصلى بالقرب من أبيدوس .

أعقب الملك « نعرمر » على عرش مصر الموحد عدة ملوك ، قام بعضهم بحملات تأديبية ضد الأسيويين والليبيين وأهل النوبة ، إلى أن انهارت الأسرة الأولى نتيجة للتنازع على الحكم بين أطراف الأسرة الطامعين فى الحكم مما أدى إلى قيام أسرة جديدة هى الأسرة الثانية . تتخلل حكم الأسرة الثانية حروب مع النوبيين كما ثار عليهم أيضًا الجزء الشمالى من المملكة المصرية . ومن أهم ملوك هذه الفترة الملك « خع سمخوى » .

أظهر المصريون مقدرتهم الفنية منذ عهود ما قبل الأسرات ، وتمثل لوحة

---

(١) هناك بعض الخلاف فى تاريخ ابتداء حكم الأسرة الأولى . بدأه بعض المؤرخين بعام ٣١٨٨ ق . م والبعض الآخر بعام ٣١٩٧ ق . م ؛ ويرجعها الأستاذ شارف « A. Sharf » بعد مقارنات علمية مع آثار بلاد النهرين المشابهة إلى ٢٨٥٠ ق . م وهذه التقديرات قد تكون بعيدة عن الحقيقة . وأميل إلى الأخذ برأى الدارسين الذين يرجعونه إلى ٣١٠٠ ق . م .

الملك « نعرمر » الفترة الواقعة بين نهاية عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرة الأولى ؛ وتشير الآثار التى عثر عليها فى مقبرة الملك « زت » ثانى ملوك الأسرة الأولى على تقدم الفن المطرد فى عهد الأسرة الأولى .

العمارة :

لم يعثر من ذلك العهد على آثار معمارية تساعد فى دراسة فن المعمار غير القبور الملكية ومقابر الأفراد ، وبدراستها يتضح التطور الكبير الذى طرأ على تشييد المقابر فى مصر فى العهود الأولى .

وكانت القبور فى العهود البدائية تقتصر على حفر صغيرة تغطى بكوم من الأحجار والرمال بعد دفن المتوفى . وأخذت الحفرة الشكل البيضاوى ثم شكل المستطيل فى عهد « جرزة » ، وفى بعض الحالات بطنت جدران المقبرة بطبقة من اللبن . وفى أواخر عهد ما قبل الأسرات أضيفت إلى هذه الأبنية حجرات أخرى ، بغرض وضع ممتلكات المتوفى فى المقبرة ، وغطيت هذه المجموعة بقطع من الحجارة والرمال ثم كسيت جدرانها الأربعة المائلة بالطوب ، وسمى هذا الشكل المستطيل فوق سطح الأرض بالمصطبة .

أصاب القبور حظ من التطور فى أوائل العصور التاريخية . فكبر حجم المصطبة منذ عهد الأسرة الأولى ، كما انتشر استعمال اللبن فى الجدران ، أما الأبواب والعمد والسقف فكانت تصنع من الخشب ، واستخدم الحجر فى بعض مقابر الأسرة الأولى فى حدود ضيقة حيث وجد فى أرضية مقبرة الملك « وديمو UDIMO » . « بأبيدوس » أحجار الجرانيت . كما عثر فى « أبيدوس » أيضًا على مقبرة الملك « خع سخموى » من نهاية الأسرة الثانية جدرانها غطيت بالحجر الجيرى . وكذلك كشف حديثًا عن جبانة شعبية فى حلوان[1] بها مقابر حجرية ترجع إلى الأسرتين الأولى والثانية .

---

(١) اكتشف الأستاذ زكى يوسف سعد هذه الحفائر فى حلوان وعثر على جبانة شعبية بها آلاف القبور .

النحت والنقوش البارزة :

بدأ الفنان المصرى يمارس فن النقش البارز على الأحجار المصقولة منذ عهود ما قبل التاريخ وبلغ القمة فى صلاّبة الملك « نعرمر » التى سبق دراستها والتى تعد نقطة البداية لطابع الفن المصرى الذى بدأ ظهوره فى عهد الأسرات الأول. ولقد عثر على لوحة حجرية فى مقبرة الملك « زت » أو «الملك الثعبان» بها نقش يصور الإله « حورس » واقفاً على مشيد يمثل واجهة القصر الملكى ، ورمز لاسم الملك بصورة ثعبان يقف فوق سور القصر ، وذلك كناية عن حماية الإله الصقر للملك والدولة (شكل ٣٨) . ويمتاز نقش هذه اللوحة بالدقة والعناية ،وكانت التماثيل فى فترة ما قبل الأسرات صغيرة الحجم . والظاهر أن صناعة تماثيل بالحجم الطبيعى لم تنتشر حتى آخر عهد الأسرة الثانية . فمن بين الآثار الهامة التى ترجع إلى الأسرة الثانية عثر على تمثالين جالسين من الأردواز والحجر الجيرى للملك « خع سخموى »[١] وتعتبر هذه التماثيل أقدم تماثيل ملكية عرفت فى تاريخ الفن المصرى . ويظهر فى كليهما الملك مرتدياً تاج الوجه القبلى جالساً على عرشه . ويده اليسرى مضمومة على صدره ، بينما تستقر اليد اليمنى المضمومة على الركبة (شكل ٣٩) وتزين القاعدة نقوش تصور الأعداء المهزومين من أهالى الوجه البحرى . ويوحى وجه الملك بالهيبة وجلال الملك . ويظن أن فنان الأسرة الثانية صنع تماثيل من الخشب والأبنوس والنحاس[٢] ولكن هذه الآثار اندثرت ولم يبق لدينا منها شىء يذكر .

---

(١) عثر الأستاذ « كويبال » فى هيراكنبوليس على هذين التمثالين والتمثال المصنوع من الحجر الجيرى به تهشم بالوجه ومحفوظ حالياً بمتحف القاهرة . والآخر من حجر الشست وهو مرمم حالياً ومحفوظ بمتحف أشموليان بأكسفورد .

(٢) ذكر فى نقوش « حجر بالرمو » المسجل عليه أسماء ملوك الأسرة الثانية . أن الملك خع سخموى كان له تمثال من النحاس .

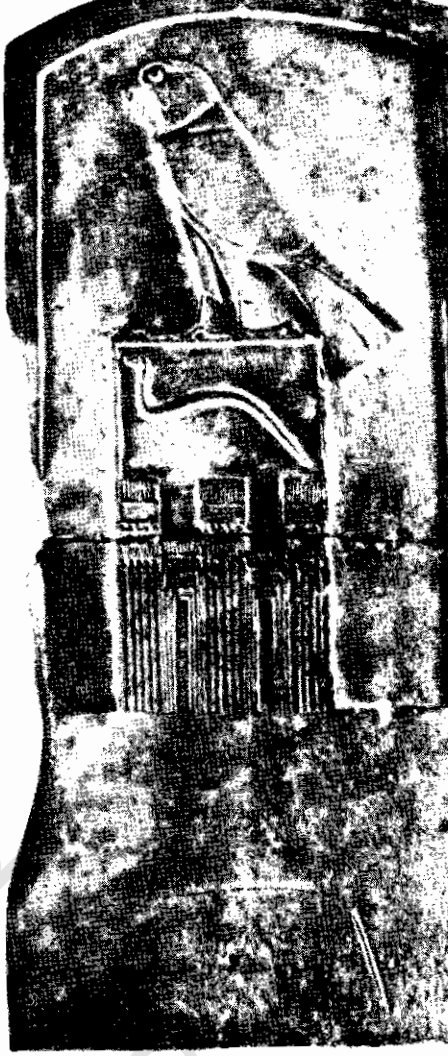

(شكل ٣٨) لوحة الملك « زيت » من الحجر الجيرى وتقتصر النقوش على رسم الثعبان « الذى يرمز للملك » . على واجهة القصر الذى يحميه الصقر حورس « متحف اللوفر »

(شكل ٣٩) تمثال الملك « خع سخمرى » أحد ملوك الأسرة الثانية وحجمه ثلث الحجم الطبيعى . متحف « أشموليان »

obeikandl.com

الفنون التطبيقية :

عثر على صناعات دقيقة من ذلك العهد تدل على أن الصناعات الفنية بلغت درجة كبيرة من الدقة والجودة . فمن مقابر الأسرة الأولى عثر على سوارات من الذهب والفيروز واللازورد، ومن بين هذه السوارات وجد سوار به زخارف على هيئة واجهة قصر يعلوه الإله «حورس» . وتخص هذه الأساور زوجة الملك « زت » . كما عثر أيضًا فى مقبرة الملك « وديمو » خامس ملوك الأسرة الأولى على قطعة عاجية بها نقوش تصوره وهو يهوى بمقمعة على رأس أسير . ومن المصنوعات الذهبية الجميلة التى تنسب إلى ذلك العصر ما عثر عليه المنقبون فى مقبرة الأمير « حماكا » وزير الملك « وديمو » .

obeikandl.com

الفصل الثانى

الدولة القديمة

ويشمل حكمها من الأسرة الثالثة حتى الأسرة السادسة

٢٦٥٠ — ٢٢٩٠ ق . م

تمهيد تاريخى :

أسس الدولة القديمة الملك « زوسر » أول ملوك الأسرة الثالثة فى حوالى سنة ٢٦٥٠ ق . م ، ونقل العاصمة من « أبيدوس » فى الوجه القبلى إلى مدينة « منف » جنوب الدلتا . وظهرت مصر فى عهده كقوة كبيرة فى منطقة الشرق الأوسط . خلفه فى الحكم بعض الملوك ، ولكنهم لم يرتقوا إلى مرتبته . ولقد حافظ الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة (٢٦٠٠ — ٢٤٨٠ ق . م) على مكانة مصر فى المنطقة ، فأرسل حملة إلى بلاد النوبة وليبيا ، كما عثر فى « وادى مغارة » على نقوش على الصخور تسجل حملاته فى سيناء وانتصاره على بدو الصحراء . وينتقل مركز الحكم فى عهد ملوك الأسرة الرابعة « خوفو وخفرع ومنقرع » إلى الجيزة شمال « منف » .

وصلت مصر فى عهد الدولة الخامسة ٢٤٨٠ — ٢٣٨٠ ق . م إلى مركز كبير ، مكنها من أن تكون أكبر دولة سياسية فى الشرق الأوسط ، تدين لها فلسطين وسوريا والمدن الساحلية فى فينقيا بالولاء . ولكن هذه العظمة تضمحل فى عهد الأسرة السادسة الذى يشوبه عدم الاستقرار السياسى ، ويتحول الحكم إلى نظام شبه إقطاعى تنتابه الفوضى ، مما أدى إلى نهاية الدولة القديمة فى حوالى ٢٢٩٠ ق . م .

يلى ذلك عهد اضمحلال تولت الحكم فيه الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة

والعاشرة واستغرق الفترة من ٢٢٩٠ إلى ٢٠٦٥ ق. م. والواقع أنه لا يوجد بين هؤلاء الملوك من كان له نفوذ قوى . وتركزت القوة فى عهد الأسرتين الثامنة والتاسعة فى أيدى الوزراء مما أدى إلى انقسام مصر إلى قوتين متصارعتين، استقرت إحداهما فى أهناسيا ، والأخرى فى طيبة ، ويعتقد أن مقر حكم الأسرتين السابعة والثامنة مدينة منف ، بينما حكمت الأسرتان التاسعة والعاشرة فى هيراكنبوليس .

العمارة :

تطور فن تشييد المقابر وتقدم تقدمًا كبيراً فى عهد الدولة القديمة . وابتدأ هذا التطور فى عهد الملك « زوسر » حيث شيد له وزيره وكاهنه « إمحتب Imhotep » مقبرة مبتكرة فى منف مكونة من ست مصاطب بعضها فوق بعض ، ويصغر حجم ما يعلو منها عما يسبقها . فيأخذ شكلها الخارجى شكل الهرم . ولقد عرف هذا الهرم باسم « الهرم المدرج»(شكل ٤٠) . ويعتبر ذلك إيذانًا بظهور المقابر الهرمية الشكل فى فن العمارة المصرى .

لم يكن هناك غرض لإقامة تلك المصاطب العلوية ، حيث تقع غرفة الدفن أسفل المصطبة الحجرية التى تكون قاعدة الهرم . وربما كان سبب هذا الابتكار هو رغبة « إمحتب » فى تشييد قبر ضخم للملك « زوسر » يعلو عن قبور نبلاء الدولة المحيطة بالهرم .

ولم يكتف « إمحتب » بهذا الابتكار فى التصميم ، بل استبدل باللبن الحجارة فى تشييد هذه المصاطب . مما كان فاتحة عهد جديد فى تاريخ العمارة المصرية . حيث أقبل المصريون بعد ذلك على استعمال الحجارة فى مشيداتهم ، ويعتبر هذا الهرم المدرج أول عمارة حجرية ضخمة فى تاريخ العمارة المصرية ، بل يكاد يكون فى تاريخ العمارة فى العالم كله . وقد ألحق بهذا الهرم بهو المدخل ، ومعبد اليوبيل الملكى ، والمعبد الجنائزى .

ويظهر التجديد والابتكار أيضًا فى مجموعة «المبانى الجنائزية والمعبد» الملحقة

(شكل ٤٠) هرم الملك زوسر بسقارة . الأسرة الثالثة . ويتكون من ست مصاطب من الحجر فوق سطح الأرض ويظهر بجزء من المبانى الملحقة بالهرم أنصاف أعمدة مستوحى شكلها من حزم البوص ٢٦٥٠ ق . م

(شكل ٤١) جدار من الحجر من المبانى المحيطة بالهرم المدرج بسقارة وتظهر به أنصاف أعمدة مستوحاة من

بالهرم . فيلاحظ أن « إمحتب » استنبط من نبات البردى أنصاف أعمدة حجرية متصلة بالجدار ، وذلك فى مجموعة المبانى الشمالية (شكل ٤١) كما استوحى من حزم البوص أعمدة متصلة بجدار بعض المبانى الأخرى (شكل ٤٠) وحافظ على محاكاة الأعمدة الخشبية فى أحجار سقف بهو المدخل . ويعتبر «إمحتب» أول فنان عرف اسمه فى تاريخ البشرية . وقد أله فى العهود اللاحقة ، واعتبره الإغريق إله الطب والعلوم والهندسة .

تطور فن تشييد المقابر الحجرية فى أوائل عهد الأسرة الرابعة . ويبدو ذلك فى هرم الملك « سنفرو » الذى شيده فى « ميدوم » فنرى هرمًا كاملا فوق هرم مدرج . وهذه هى المحاولة الأولى لبناء الهرم . كما أخذ أحد أهراماته الموجودة فى دهشور [1] شكل الهرم الكامل الحقيقى الذى ظهر بعد ذلك فى منطقة الجيزة .

بلغ فن تشييد المقابر الهرمية الشكل القمة فى الفخامة والروعة فى عهد ملوك الأسرة الرابعة « خوفو وخفرع ومنقرع » (شكل ٤٢) ، الذين شيدوا أهراماتهم فى الجيزة . وتمتاز هذه الأهرامات بالضخامة إذا ما قورنت بالهرم المدرج . فقد شيد « خوفو » هرمه فوق مساحة ١٢ فدانًا ، وبلغ ارتفاعه ١٤٦ متراً بينما يرتفع هرم الملك زوسر إلى ٦٠ متراً فقط . وتتميز الكتل الحجرية المستعملة فى تشييد هذه الأهرامات بالضخامة ، إذ يزن كل حجر منها نحو طنين ونصف . ولقد كسيت جوانب هذه الأهرامات بطبقة مصقولة من الحجر الجيرى زالت كلها مع الزمن ، ما عدا الجزء العلوى لهرم الملك خفرع .

وقد تغير التصميم الهندسى للمقبرة الهرمية فى عهد الملك خوفو إذ انتقل مكان غرفة الدفن التى كانت تحت الأرض فى هرم الملك زوسر إلى غرفة مشيدة فى جسم الهرم ، غطيت جدرانها وسقفها بأحجار ضخمة من الجرانيت (شكل ٤٣) . وبما أن مقبرة الملك كانت عادة تتوسط الجبانة الملكية . لذلك نجد فى شرقه وجنوبه أهرامات صغيرة خاصة بأعضاء الأسرة المالكة ، بينما تقع مصاطب رجال الدولة (شكل ٤٤) فى الجنوب . ويلحق عادة بالهرم من الناحية

---

(١) نسب الهرمان الموجودان فى دهشور إلى الملك سنفرو وبذلك يكون له ثلاثة أهرامات .

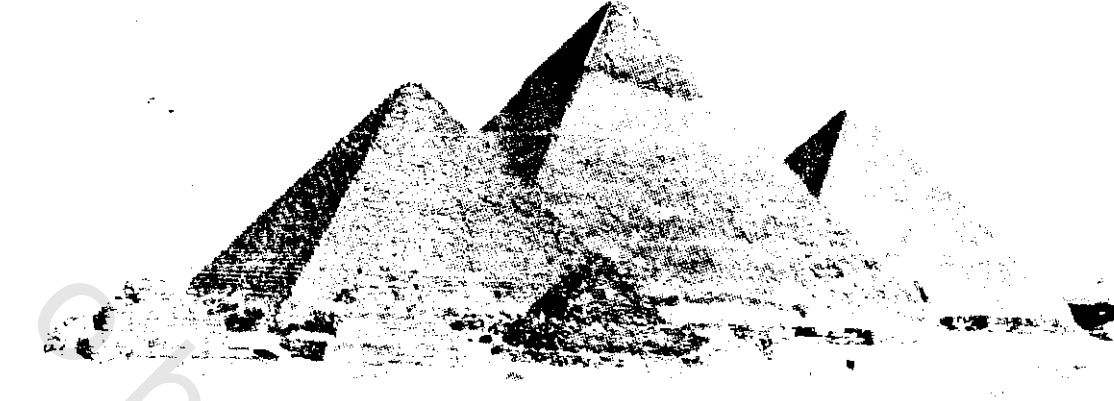

شكل ٤٢) أهرام الجيزة التى شيدها الملوك
وفو وخفرع ومنقرع. الأسرة الرابعة –
٢٥٧٠ ق.م – ٢٥٣٠ ق.م – ٢٥٠٠ق.م

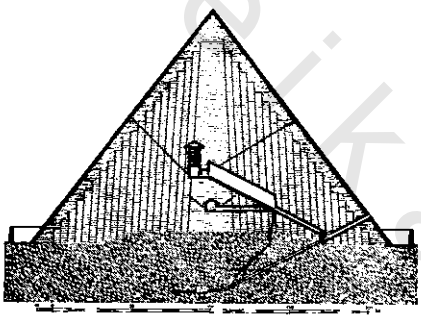

(شكل ٤٣) مقطع رأسى لشكل الهرم
الأكبر الخاص«بالملك خوفو» بالجيزة–الأسرة
الرابعة . عن رسم للأستاذ (ل . بورشادت)

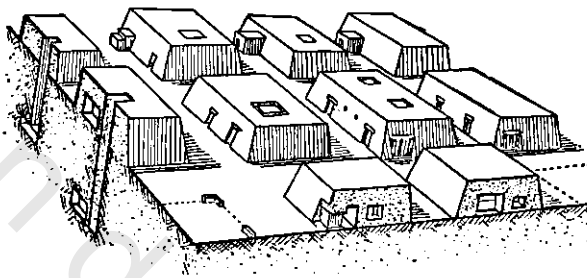

شكل ٤٤) رسم كروكى لمصاطب
ء بالجيزة – الأسرة الرابعة

(شكل ٤٥) تمثال أبى الهول
المنحوت فى الصخرة الموجودة
بجانب معبد الملك خفرع بالجيزة
الأسرة الرابعة ٢٥٣٠ ق . م

الشرقية معبد جنائزى ، ينفتح على طريق يؤدى إلى معبد ثان يعرف بمعبد الوادى .

ولعل أحسن مجموعة معمارية عثر عليها كاملة هى المجموعة المحيطة بهرم الملك « خفرع » . وترجع أهميتها أيضًا إلى التمثال المنحوت من الصخر الموجود بجانب معبد الوادى على هيئة حيوان رابض بجسم أسد ورأس آدمى (شكل ٤٥) ويعرف « بأبى الهول » [١] . ويرجح أن رأسه التى يبلغ ارتفاعها حوالى ستة أمتار تمثل الملك خفرع . وأنه قصد بنحته فى هذا المكان حماية مدخل المعبد [٢] .

ولم تبلغ هندسة عمارة المقابر من الكمال ما بلغته فى عهد بناة الأهرام . وهذه المشاريع المعمارية الرائعة الضخامة التى قام بها فنانو الدولة القديمة تمثل الدرجة القصوى فى العظمة التى وصل إليها فن المعمار المصرى فى الدولة القديمة . حيث إنه لم يعثر على أهرامات بهذه الضخامة بعد ذلك العهد .

وبالرغم من أن بناء الأهرام كان رمزاً للطاعة الإلهية يقوم به المصرى راضيًا وهو معتقد أنه يؤدى واجبًا مقدسًا للفرعون الذى يمثل الإله على الأرض [٣] فقد نسب بعض الكتاب خطأ إلى الملوك الفراعنة استعباد الرعايا فى عملية تشييد الأهرامات . ولقد ثبت من أقوال بعض المؤرخين القدماء أن هؤلاء الأفراد كانوا يتقاضون أجراً مقابل قيامهم بهذه الأعمال ، مما ساعد على انتعاش الحالة الاقتصادية فى مواسم الفيضانات حين تتوقف أعمال الزراعة [٤]

النحت .

بلغت صناعة التماثيل درجة كبيرة من الدقة فى الدولة القديمة وقد استخدم

---

(١) هذه التسمية عربية ومن أسمائها المصرية «شسب عنخ» ومعناها الصورة الحية . وحرفها الإغريق إلى « سفنكس » .

(٢) ولو أن أبا الهول ليس عملا معمارياً إلا أنه يصعب الفصل بينه وبين عمارة الهرم .

(٣) ذكر ذلك فى كتب الأساتذة : ص ١٦٣ "Jequier" Histoire de la Civilisation Egyptienne ص ٢٢١ الجزء الثانى "Meye " Histoire de l'art

(٤) ذكر « هيرودوت » أن الفلاحين كانوا مضطرين لترك حقولهم أثناء غمرها فى موسم الفيضان ليساعدوا فى بناء الأهرام مقابل طعامهم وكسائهم .

الفنان فى صناعتها مختلف المواد التى وجدها تحت يده . ويلاحظ أن التماثيل فى ذلك العهد كانت تصنع بغرض وضعها فى سرداب الدفن . لذلك كانت تنحت بدقة من الجهة الأمامية أما الأجزاء الخلفية فلا يعتنى بنحتها .

عبر الفنان فى تماثيله الملكية عن اعتقاده بجلالة وقدسية الفرعون . لذلك ظهرت تماثيله ساكنة يتسم وجوهها بالوقار . ومثال ذلك تمثال الملك زوسر (شكل ٤٦) بالحجم الطبيعى الذى يمثله فى سن متقدمة جالساً ويده اليمنى موضوعة على صدره . أما اليسرى فموضوعة على ركبته . ويتسم وجه هذا التمثال بطابع الصرامة ووقار الملك . كما يظهر به آثار ألوان . ولقد وجد هذا التمثال فى حالة سيئة لا تمكننا من دراسته حتى نستطيع التعرف على تطور فن النحت فى الأسرة الثالثة .

ولقد جرت العادة فى الدولة القديمة على تلوين التماثيل المصنوعة من الحجر الجيرى ، فأجسام الرجال تلون باللون الأحمر البنى وأجسام النساء باللون الأصفر ويرجع ذلك لتعرض الرجل لأشعة الشمس خارج المنزل ، بينما تحتفظ المرأة التى لا تتعرض كثيراً للشمس ببياض بشرتها . وأحسن مثال لذلك تمثالا « الأمير رع حوتب والأميرة نوفرت » (شكل ٤٧) . اللذان صنعا فى أوائل عهد الأسرة الرابعة فى فترة حكم الملك « سنفرو » . ولقد عثر على تمثالى الأمير وزوجته فى سرداب مقبرة الأمير فى « ميدوم » . ويلاحظ بدراسة هذه المجموعة التقدم الذى طرأ على فن النحت . كما تكشف خطوطه اللينة البسيطة عن براعة فى التعبير عن رشاقة جسم الأميرة الذى لم يستطع زيها الطويل إخفاءه ، وقد ساعد على إبراز حيوية هذه التماثيل الأعين المرصعة بأحجار شفافة .

ولا نزاع فى أن التقدم الذى أحرزته الأسرة الرابعة فى فن المعمار لا بد أن يصاحبه تقدم فى فن النحت . فالقطع التى عثر عليها من ذلك العهد تعتبر أحسن نماذج لفن النحت فى الدولة القديمة . كما تجعل الفنان المصرى يتصدر نحاتى العالم القديم .

الحجر الجيرى وبه آثار الوان – الدولة القديمة « المتحف المصرى بالقاهرة »

(شكل ٤٧) تمثالا « رع حتب » وزوجته الأميرة « نفرت » من الحجر الجيرى الملون . أوائل عهد الأسرة الرابعة – الدولة القديمة « المتحف المصرى بالقاهرة »

لم يعثر للآن على تمثال بالحجم الطبيعى للملك خوفو ، وإنما عثر الأستاذ « بترى » على تمثال صغير له من العاج يمثله جالسًا (شكل ٤٨) ويعتبر هذا التمثال أول التماثيل الملكية التى استخدم العاج فى صنعها . إلا أنه لا يساعدنا فى دراسة فن النحت فى عهد الدولة الرابعة .

وتتوفر هذه الدراسة فى تماثيل[١] الملك خفرع التى تعتبر المثل الأعلى لتماثيل الدولة القديمة ولقد عثر عليها فى معبد الوادى الملحق بهرمه فى الجيزة . وبدراسة أحد هذه التماثيل يلاحظ أن الفنان صور الملك جالسًا على عرشه فى وضع تقليدى[٢] . ومن خلف رأسه الصقر « حورس » ناشراً جناحيه ليظله بحمايته (شكل ٤٩) . وقد استوحى المثال الشكل التكعيبى فى عمل تمثاله الذى امتاز بتصميم فريد . فقد حاول الحصول من تلك الكتلة الحجرية على تمثال ذى ثلاثة أبعاد . وتمكن من التغلب على صعوبة نحت التمثال من الناحية الجانبية ، فسجل جميع التفاصيل الموجودة بها . كما أنه راعى النسب الصحيحة للجسد البشرى .

وقد تخيّر الفنان حجر الديوريت الداكن لصنع تمثاله . وبالرغم من صلابة هذا الحجر وصعوبة نحته ، إلا أن الفنان تمكن ببراعة من صقل سطوحه . ونجح فى تصوير التعبير الموجود على وجه الملك . فيشعر الناظر إليه بما يتسم به الملك من قوة وشموخ وكبرياء . ومما يلاحظ فى هذه التماثيل الملكية أن وجه التمثال كان ينحت بوضع واحد دون إظهار أية حركة أو تعبير قد يغير من ملامحه . كذلك كان من المعتاد أن يرسم للشخص عدة تماثيل متطابقة[٣] . ولما كان الغرض من صنع التمثال أن تحل فيه القرين ، لذلك كان غالبًا

---

(١) باستثناء التماثيل الواقفة عثر للملك على سبعة تماثيل جالسة خمسة منها من حجر الديوريت وواحد من الشست وواحد من المرمر .

(٢) كانت التماثيل الملكية الجالسة حتى عهد خوفو تمثلهم وإحدى أيديهم على الصدر والأخرى على الركبة . اختلف التصميم الخارجى منذ عهد الملك خفرع فاستقرت اليدان على الركبتين مما ساعد على استقامة الخطوط الخارجية للتمثال .

(٣) عثر على ٢٣ تمثالا للملك خفرع ، وعلى ٥٠ تمثالا فى مصطبة النبيل خنمب «Khnumbe

(شكل ٤٨) تمثال صغير من العاج للملك خوفو جالساً
الأسرة الرابعة – الدولة القديمة « المتحف المصرى بالقاهرة »

(شكل ٤٩) تمثال الملك خفرع جالساً . من حجر
الديوريت الداكن . الأسرة الرابعة – الدولة القديمة .
« المتحف المصرى بالقاهرة » ٢٥٣٠ ق . م

(شكل ٥٠) تمثال الملك منقرع وزوجته من الحجر .
الأسرة الرابعة – الدولة القديمة، متحف مدينة « برستون »

ما يصور المتوفى فى عنفوان شبابه .

ومن أروع التماثيل التى تصور شباب الملوك مجموعة تمثالى الملك « منقرع » مع زوجته (شكل ٥٠) . ولقد مثل الملك واقفًا وذراعاه مبسوطتان على الفخذين ، ويداه مقفلتان والإبهام ظاهر . وتقف زوجته بجانبه مطوّقة إياه باحدى ذراعيها . ويمثل هذا التمثال الكمال فى التعبير عن جمال الرجولة والأنوثة مع الاحتفاظ بجلال الشخصية ، كما عبر عنه أحد نوابغ مثالى الدولة القديمة . وقد استطاع الفنان أن يظهر فى الحجر رقة زى الملكة الذى تظهر من خلاله محاسن وجمال الجسد . وكان هذا الرداء الملتصق شائعًا فى الدولة القديمة . ولقد امتاز تصميم هذا التمثال باستقامة الخطوط وبساطتها مما ساعد على إبراز الخصائص الأساسية للأشخاص بوضوح .

ولم يقتصر صنع التماثيل على الملوك فى الدولة القديمة . بل عثر على تماثيل للنبلاء ، وكانت تماثيل الأفراد أقل هيبة من تماثيل الملوك ، وتميزت بتعبير وحيوية أكثر . ومثال ذلك تمثال النبيل « كاپر Ca—per » (شكل ٥١) من عهد الأسرة الخامسة . ويعرف حاليًا باسم شيخ البلد[1]. صنع هذا التمثال من الخشب وعيناه رصعت بأحجار ملونة شفافة . ولقد ساعدت الخامة اللينة المثال على التعبير عن شخصية صاحب التمثال الذى نشعر أنه لرجل فى منتصف العمر .

ولقد ظهر فى أواخر الأسرة الرابعة وابتـــداء الأسرة الخامسة تماثيل لأشخاص فى وضع جديد « جالسين القرفصاء » وتصور هذه التماثيل فئة الكتاب ، وكانت مهنة الكاتب محترمة ويشغلها شخص من البلاط الملكى ، كما كانت فى أول الأمر مقصورة على أبناء الملوك والأمراء ، ولم تعرف شخصية أصحاب هذه التماثيل . ونرى أحدهم جالسًا القرفصاء (شكل ٥٢) ، ويحمل لوحة الكتابة وممسكًا قلما ، ويلاحظ على وجه صاحب التمثال تعبير

---

(١) أطلق عليه هذا الاسم العمال المصريون الذين اكتشفوه أثناء عمليات التنقيب وذلك لمشابهته لشكل شيخ البلد .

(شكل ٥١) تمثال من الخشب للنبيل « كابر » واقفاً وشهرته شيخ البلد . الأسرة الخامسة – الدولة القديمة . « المتحف المصرى بالقاهرة »

(شكل ٥٢) تمثال من الحجر الجيرى للكاتب القاعد القرفصاء.صنع حوالى ٢٤٠٠ ق. م.الدولة القديمة « المتحف المصرى بالقاهرة »

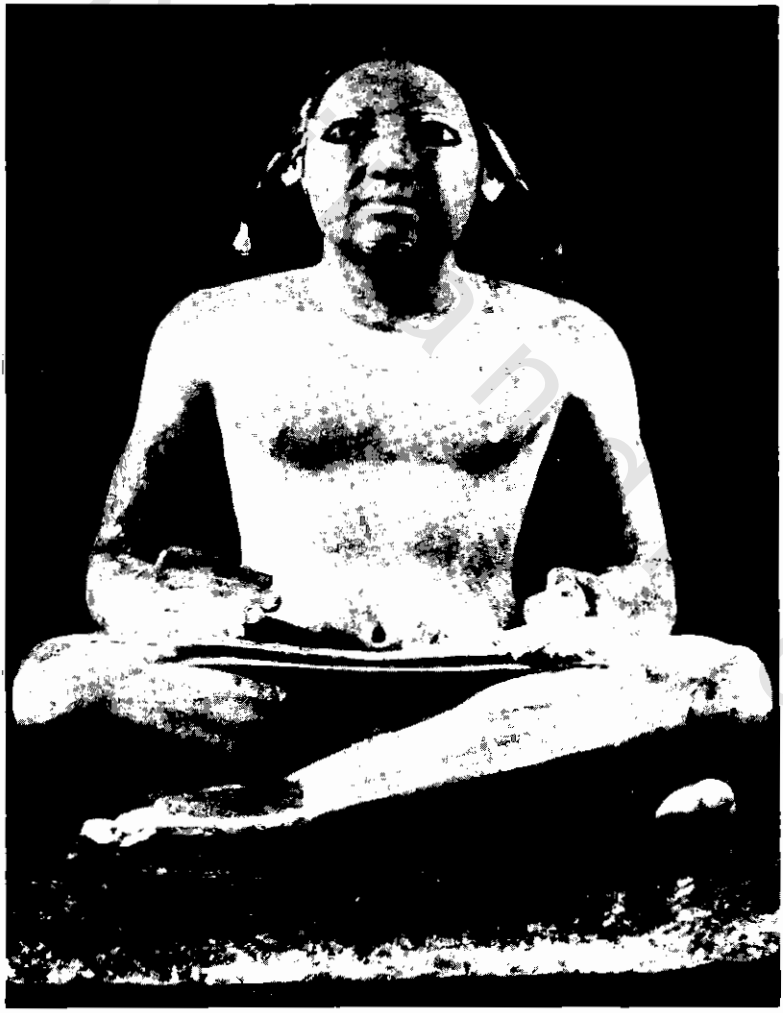

(شكل ٥٣) تمثال من النحاس خاص بالملك (بيبى الأول) وخلفه تمثال صغير من النحاس لابنه (الأسرة السادسة–

يدل على اليقظة والانتباه .

تمكن الفنان فى الدولة القديمة من استخدام النحاس فى عمل تماثيله وذلك لازدياد استغلال النحاس الموجود فى وادى « مغارة » بشبه جزيرة سيناء . فعثر « كويبل » فى « هيراكنپوليس » على تمثال من النحاس للملك « پيپي الأول » (شكل ٥٣) أحد ملوك الأسرة السادسة ومعه تمثال آخر صغير الحجم لابنه « مون ر ع » .

ولاينبغى أن نختم دراستنا لفن النحت فى الدولة القديمة دون أن نذكر الرءوس الحجرية التى كانت توضع بالمقبرة فنرى فى إحداها (شكل ٥٤) بلوغ الفنان القمة فى تمثيل صورة المتوفى .

النقوش البارزة :

أظهر الفنان المصرى مهارة وتقدماً فى حفر الصور البارزة على السطوح الصلبة والهشة منذ عصر ما قبل الأسرات ونجد أن هذا الفن تطور تطوراً ملحوظاً فى الدولة القديمة تبعاً للحاجة إلى نقش صور من حياة صاحب القبر اليومية على جدران مقبرته وذلك لاعتقاده أنه من الجائز أن تنقلب إلى صور حقيقية يتمتع بها فى حياته الأخرى . وكانت هذه المناظر ، إما أن تكون منقوشة على الحجر . وإما أن ترسم على أرضية من الطين المغطى بالجص ثم تلون . وكان الفنان فى عهد الدولة القديمة يفضل المناظر المنقوشة على الحجر أو الخشب على المناظر الملونة ، لأن الأولى فيها نوع من التجسيم يقربها إلى الحقيقة . وكذلك لقلة تطرق التلف إليها بعكس الصور الملونة التى قل أن تحتفظ بألوانها عبر الزمن . والنقوش على نوعين : بارز وهو ما ينحت فيه ما حول أجزاء الموضوع بحيث تبرز الأشكال فوق مستوى الجدار ، وغائر ويكتفى فيه بحفر الخطوط المحددة للأشكال كما تنحت تفاصيلها . وهذه الخطوط تكون أعمق من سطح الجدار .

وتتميز النقوش الموجودة على جدران المقابر الملكية بالمواضيع الدينية ، وتقدم

مقبرة الملك زوسر نموذجاً لذلك . فنشاهده ممشوق القوام مرتدياً تاج الوجه القبلى يقوم ببعض الطقوس الدينية (شكل ٥٥) ، وبالرغم من أن هذه النقوش ذات بروز بسيط عن الخلفية إلا أن خطوطها الدقيقة تدل على دراسة واضحة لجسم الملك الذى ظهرت تفاصيله بوضوح .

وتضارع النقوش المحفورة على الألواح الخشبية التى عثر عليها فى مقبرة النبيل « حسى رع » — الكاتب الأول فى عهد الملك زوسر — النقوش السابقة . وربما ساعد الفنان على إجادتها طراوة مادة الخشب . وتصور هذه النقوش فترات مختلفة من حياة النبيل فنراه فى إحداها واقفاً وبيده أدوات الكتابة (شكل ٥٦) .

وبازدياد ثروات أمراء وكبار رجال الدولة فى عهد الأسرتين الرابعة والخامسة بلغ النقش البارز كمالاً ملحوظاً . حيث كثر ظهور النقوش البارزة لصور من حياة أصحاب القبور تدل على ثراء كبار الموظفين وامتلاكهم للضياع الواسعة . فتوضح تلك النقوش صوراً من الحياة داخل المنزل ، تمثل الحفلات التى يقيمونها وكيفية إعداد الطعام والشراب . كما نرى صوراً لأحداث من خارج المنزل تسجل حياة الزراعة من حرث وحصد وتربية الطيور ورعى الماشية ، ونلاحظ ضمن هذه المناظر تسجيلا مفصلا للحرف المختلفة ، وهكذا أصبحت جدران هذه القبور أشبه ما تكون بالكتب المصورة للحياة المصرية ، وقد تميزت صور الحيوانات والطيور بالجودة ؛ كما راعى الفنان فى تصميماته جمال الخطوط ، وظهر بوضوح الطابع الزخرفى .

ومن أهم المقابر ذات النقوش الجميلة مقبرتا النبيل « تى Ti » و « بتاح حتب Ptahotep» من عهد الأسرة الخامسة فى سقارة . إذ تمتاز نقوشهما بتنوع الموضوعات وحيوية المناظر وجمال الخطوط . وتعتبر مقبرة النبيل « تى »[1] أحسن مثال لذلك حيث تروى نقوشها صوراً من حياته . فيظهر فى إحداها واقفاً فى قاربه فى وضع ثابت لا حركة فيه ، يراقب رجاله المستقلين قارباً آخر

---

(١) يرجع تاريخ هذه المقبرة إلى عهد الملك « إسى Issisi » . وقام بالكشف عنها ماريت باشا فى سنة ١٨٥١ م .

أمير بالجيزة، ٢٥٨٠ ق. م الدولة القديمة «المتحف المصرى بالقاهرة »

(شكل ٥٥) نقش على جدار حجرى يصور الملك زوسر يقوم ببعض الطقوس الدينية، الأسرة الخامسة – الدولة القديمة

(شكل ٥٦) نقش على لوح من الخشب يصور النبيل « حس رع » ممسكاً بأدوات الكتابة. الأسرة الثالثة – الدولة القديمة . « المتحف المصرى بالقاهرة »

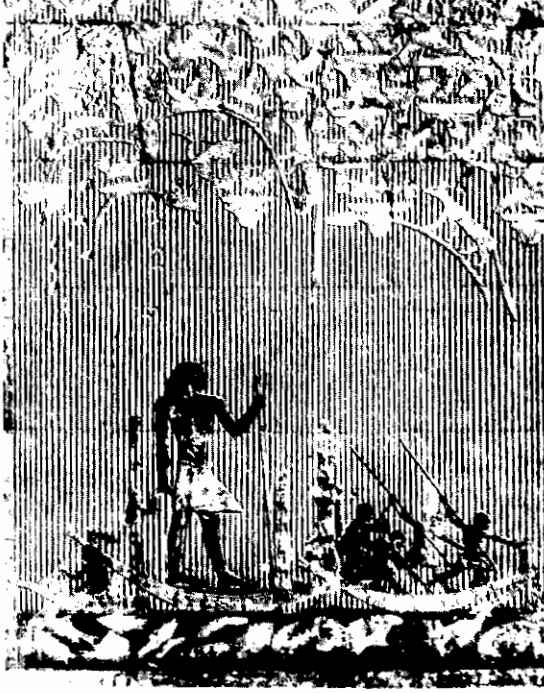

(شكل ٥٧) النبيل « تى » يراقب صيد فرس البحر . نقش جدارى ملون بمقبرة النبيل بسقارة — الدولة القديمة ٢٤٠٠ ق . م

(شكل ٥٨) قطيع من العجول يعبر مجرى مائيا . نقش جدارى ملون بمقبرة النبيل «تى» بسقارة — الدولة القديمة ٢٤٠٠ ق . م

شكل ٥٩) لوحة « الإوزات ست» جزء من تصوير جدارى ون وجد فى مقبرة « بميدوم » ولة القديمة «المتحف المصرى قاهرة »

يصطادون فرس البحر (شكل ٥٧) . ويدل تصميم المنظر على مهارة ومقدرة فنية كبيرة . حيث استخدم الفنان نبات البردى النامى فى الماء كخلفية للصورة ، وسجل عليها أشكال الطيور المختلفة التى تقف على زهرات النبات . ويلاحظ اهتمام الفنان بتسجيل الأحداث وقت وقوعها فنشاهد حيوانين يهاجمان أعشاش الطيور ، كما يظهر الطابع الزخرفى فى التعبير عن المياه الشفافة التى تظهر فيها الأسماك وفرس البحر بخطوط متعرجة .

ويلاحظ فى هذه الصورة استمرار الطابع الفن المصرى الذى ظهر فى أوائل العهود . فالنبيل « تى » رسم بحجم أكبر عن بقية الأشخاص الموجودين معه ، وهذا رأيناه فى لوحة الملك نعرمر من قبل . كما تذكرنا وقفة النبيل بلوحة الكاتب « حسى رع » الخشبية .

ومن موضوع آخر مسجل على جدران هذه المقبرة ، يتضح إحساس الفنان المرهف ومقدرته الفائقة فى تسجيل الانفعالات النفسية التى تعبر عنها الكائنات المرسومة فى الصورة . فنشاهد قطيعًا من العجول يخوض مجرى مائيًا ، بينما يحمل تابع عجلا رضيعًا خوفًا عليه من الغرق (شكل ٥٨) . وهنا يصل الفنان إلى القمة فى تسجيله انفعال الخوف الذى أصاب الحيوان الصغير فالتفت إلى أمه طالبًا النجدة ، بينما تجاوبه الأم منادية لتشعره بالاطمئنان لوجودها ، كما يلاحظ أيضًا براعة الفنان فى تسجيل شفافية المياه التى لا تحجب أرجل الرجال والعجول .

التصوير :

استخدم الفنان أحيانًا الألوان فى توضيح نقوشه البارزة . كما استعملها أيضًا فى عمل صور جدارية على طبقة الجص المغطى للجدران . وأشهر مثل لهذا النوع الأخير صورة « الأوزات الست » (شكل٥٩) نقلت من مقبرة زوجة « نفر ماعه » بميدوم إلى المتحف المصرى . وتشهد هذه اللوحة بدقة الفنان فى اختياره للألوان الطبيعية لهذه الطيور .

الفنون التطبيقية :

تشير الآثار التى عثر عليها من عهد الدولة القديمة على أن فن الصناعات الدقيقة كان مزدهراً . حيث عثر على أوان من المرمر تفنن الصانع فى أشكالها . كما تدل القلادة المنقوشة على رقبة الأميرة « نوفرت » (شكل ٤٧) على دقة ومقدرة الفنان فى تطعيم المصنوعات المعدنية بالأحجار الملونة المتناسقة . وأكبر مجموعة من المصاغ عثر عليها فى مقبرة الملكة « حتب حرس » والدة الملك «خوفو» وتتضمن هذه المجموعة أوانى ذهبية وخلاخيل فضية مرصعة بالفيروز واللازورد . كما أنه عثر على رأس صقر ذهبية من عهد الأسرة السادسة . **إلا أن الفنون اضمحلت فى أواخر الأسرة السادسة لما شاب تلك الفترة من عدم الاستقرار السياسى ، ولم نحصل على آثار فنية من عهد الاضمحلال الأول .**

obeikandl.com

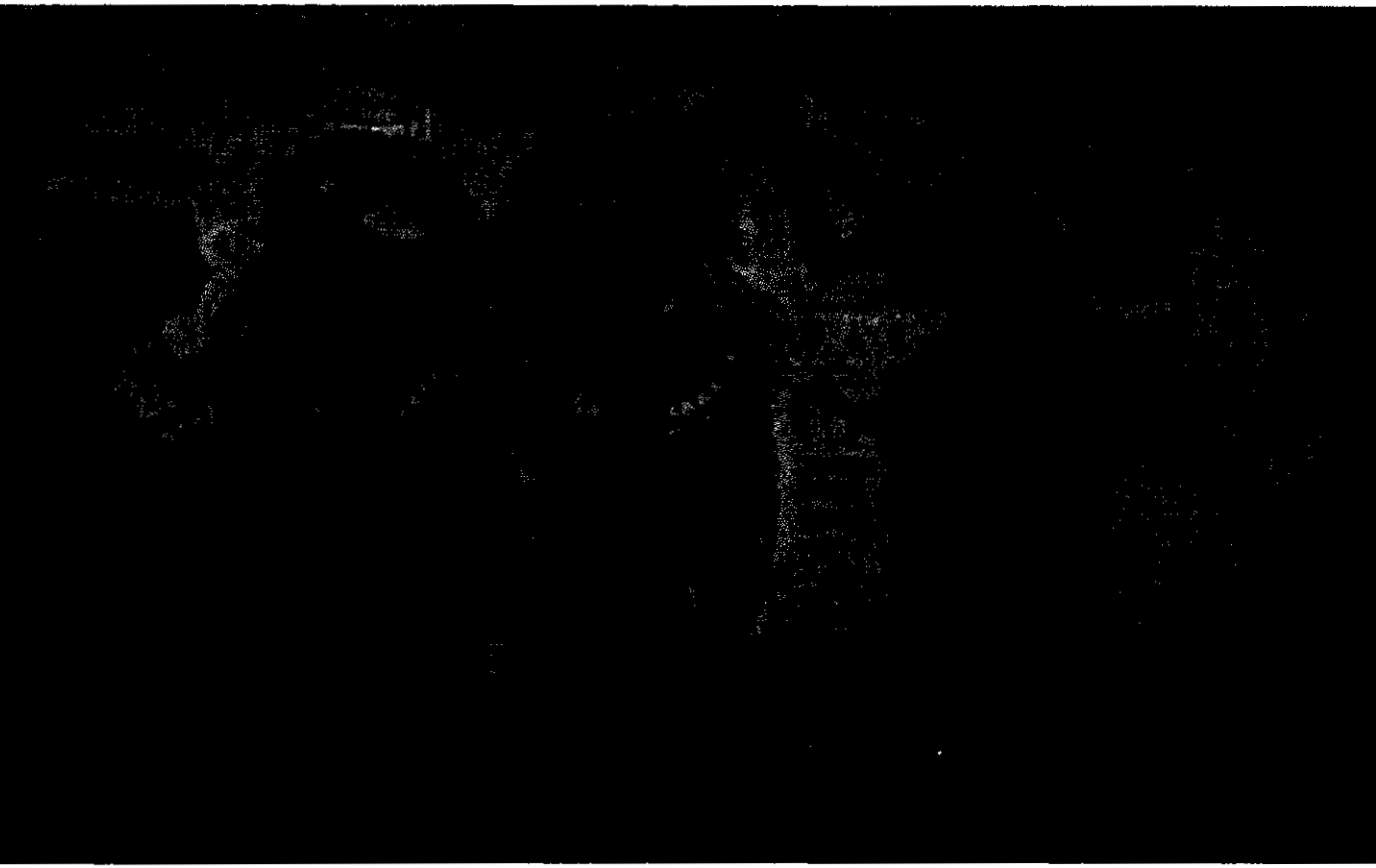

[لوحة رقم ١]

جزء من تصوير جدارى ملون وجد فى إحدى مقابر أمراء الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة ، ويصور هذا الجزء فرقة عازفات وراقصات – المتحف البريطانى .

الفصل الثالث

الدولة الوسطى

وتشمل حكم الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ٢٠٦٥ — ١٧٨٧ ويلى ذلك عهد الاضمحلال الثانى (ويشمل حكم الهكسوس) من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة ١٥٨٧ — ١٥٨٥ ق . م

تمهيد تاريخى :

حدثت فى أواخر عهد الأسرة العاشرة ثورة على الحكم ساعدت حكام « طيبة » فى الجنوب على الانتصار على ملوك « أهناسيا » . ومن أشهر أمراء طيبة الملك « منتوحتب Mentuhotep » الذى وحد البلاد بعد أن قضى نهائياً على المملكة الأهناسية ، وتمكن من الوصول إلى مصر الوسطى والدلتا . وبذلك توج ملكاً على مصر العليا والسفلى ، وكون الأسرة الحادية عشرة وترك لخلفائه دولة قوية موحدة . استتب فيها النظام . ولم تعمر الأسرة الحادية عشرة طويلا . وتخلل أواخر عهدها تنازع على الحكم . إلى أن تمكن أمير آخر من طيبة « أمنمحعت الأول[1] » من الاستقلال بالحكم . وأسس الدولة الثانية عشرة أقوى أسر الدولة الوسطى ، وذلك فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م . وقد نقل ملوك الأسرة الثانية عشرة مركز حكمهم إلى مركز متوسط بين الشمال والجنوب فى مدينة « اللشت » وتميز حكمهم بانتعاش جديد لنفوذ الدولة المصرية امتد إلى شمال سوريا حتى مدينة « أوغاريت » حالياً « رأس الشمرة » ، ولكن السوريين تمكنوا من الاستقلال عن حكم مصر بعد أن ضعفت فى أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة .

---

(١) ولد أمنمحعت فى «فخن» من أم نوبية وكان أقوى رجل فى الدولة حاكم طيبة أعوام الفوضى

نقل ملوك الأسرة الثالثة عشرة الذين ترجع نشأتهم إلى «طيبة» عاصمة حكمهم إلى بلدة « تانيس » فى الوجه البحرى. وقد انتاب عهد هذه الأسرة الفوضى . كما كثرت الحروب الداخلية .

ولأول مرة فى تاريخ مصر يأتى الغزو من الخارج فى حوالى سنة ١٧٠٠ق.م حيث تمكنت قبائل غير متحضرة نزحت من إقليم « ميتانى Mitani » شمال سوريا — بعد أن انضم إليها بعض قبائل الحوريين والكنعانيين ، وبدو الصحراء — من الإغارة على الجزء الشمالى من مصر . وكسبوا الحرب بأسلحتهم الحديدية وعرباتهم الحربية التى تجرها الخيول . واستمر هؤلاء الغزاة الذين يعرفون باسم « الهكسوس »[١] أو « ملوك الرعاة » فى حكم الجزء الشمالى من مصر لمدة قرن ونصف . واتخذوا عاصمة لهم فى شرق الدلتا اسمها «أواريس[٢] Avaris » وأجبروا ملوك الأسرة الثالثة عشرة الضعفاء الذين انتقلوا إلى طيبة فى الجنوب ، وملوك الأسرة الرابعة عشرة الذين تلوهم . على دفع الجزية . ولكن أمراء طيبة تمكنوا من الثورة على الغزاة فى حوالى سنة ١٦٠٠ ق . م . وقامت حروب تحرير فى عهد ملوك الأسرة السابعة عشرة بطلاها الملك « سكنرع Sekenenra » وابنه « كاموزا » اللذان استطاعا فى نهاية الأمر إجلاء الهكسوس عن البلاد ومطاردتهم شرقاً .

ومن هذه الدولة المليئة بالأحداث ، لم يعثر على قطع فنية هامة يمكن مقارنتها بالعمارة الفذة والتماثيل العظيمة التى امتازت بها الدولة القديمة . ويمكن القول بأنه كانت هناك طفرة فنية فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، حيث وحدت البلاد واستقرت الأمور ، مما شجع الفنان على التقدم فى فنه ، فظهرت له أعمال كثيرة ، ولكن هذه الطفرة تلتها فترة حكم الهكسوس التى لم تخلف لنا

---

(١) أطلق « مانيتو » عليهم هذا الاسم الإغريقى الأصل . ولكن هناك قولاً آخر بأن اللفظ تعبير مصرى مكون من كلمتين « هك — سوس Hek—sos » ويعنى حكم البلاد الأجنبية .

(٢) تقع هذه المدينة قرب مدينة الزقازيق .

آثاراً ضخمة كالنحت والعمارة ، وقد يكون الداعى لذلك أن المصريين حين طردوهم حطموا كل ما يمت لهم بصلة .

العمارة :

بعد زوال عهد الدولة القديمة لم تظهر فى مصر مقابر هرمية عظيمة كالتى شيدها ملوك الأسرة الرابعة . ولقد عثر على مقابر هرمية أقل حجماً من مقابر الأسرة الثانية عشرة ، حيث وجدت أهرامات للملوك « أمنمحعت الأول » ، « وسيزستوريس [١] الأول » فى « اللشت» « وأمنمحعت الثانى » « وسيزستوريس الثالث » فى « دهشور » وأمنمحعت الثالث » و « سيزستوريس الثانى» فى هوارة و « اللاهون» بمنطقة الفيوم . كما كانت هناك بطبيعة الحال مصاطب للأمراء محيطة بالأهرامات . ولم تستخدم الحجارة فى تشييد هذه الأهرام، بل استعمل الطوب اللبن الذى غطى بكساء من الحجارة . ولقد زال هذا الكساء مع الزمن ولا وجود له الآن .

شيد ملوك الدولة الوسطى معابد للآلهة المختلفة فى الأقاليم، وشاع استعمال المعبد المحاط بأعمدة، كما كثر ظهور الأعمدة المقتبسة من شكل النخيل . ومن أشهر المعابد الجنائزية التى عثر عليها من ذلك العصر معبد « منتوحتب » بالدير البحرى ويتميز بمسطحين فوق بعضهما يعلوهما بناء هرمى (شكل ٦٠) ومعبد « أمنمحعت الثالث » الجنائزى فى هوارة [٢] .

وتعتبر مقابر النبلاء الصخرية المنحوتة فى الجبل الذى يحيط بالوادى الضيق فى الجنوب من أحسن ما أنتجه الفنان وبخاصة مقابر « بنى حسن» « والبرشة » « وفاو الكبير» .

ومنذ عهد الدولة الوسطى ، كانت تقام مسلتان على جانبى مدخل المعبد .

---

(١) يطلق على سيزوستوريس أيضاً اسم « سنوسرت » Senosert .

(٢) أعجب الإغريق بهذا المعبد وأطلقوا عليه اسم « اللابيرنت » « التيه » لتشعب أبهائه وممراته وقال عنه هيرودوت إنه يفوق الأهرام .

وهذه المسلات[١] تنحت عادة من قطعة واحدة من الحجر ، وينقش عليها اسم الملك وألقابه . وقاعدة المسلة على شكل مربع ، وتضيق جوانبها تدريجياً إلى أن تنتهى بشكل هرمى . ومن الآثار المعمارية القليلة التى نجت من تدمير الهكسوس فى فترة حكمهم لمصر ، مسلة الملك « سيزوستوريس الأول » التى شيدها أمام معبد أبيه فى « هليوبوليس » شمال شرق القاهرة . وهى تعتبر أقدم مسلة طويلة نحتت فى تاريخ العمارة المصرية ، إذا قورنت بالمسلة القصيرة الغليظة التى عثر عليها فى « أبو غراب » بالقرب من « أبو صوير » من عهد الأسرة الخامسة .

النحت :

ضعف فن النحت فى أعقاب الدولة القديمة وبقدر ما عثر على تماثيل كثيرة من عهد الدولة القديمة لم يعثر إلا على القليل من عهد الدولة الوسطى . ويبدو أن فن النحت لم يكن منتشراً بالكثرة التى انتشر بها فى عهد الدولة القديمة . وأحسن ما عثر عليه من تماثيل الأسرة الحادية عشرة تمثال الملك « منتوحتب » الذى يظهر فيه مرتدياً تاج الشمال (شكل ٦١) وتشير تماثيل الأسرة الثانية عشرة إلى التطور الذى طرأ على فنان الدولة الوسطى . حيث نحت الفنان الملك على هيئة رجل وليس على هيئة إله . لذلك تنطق وجوه أصحابها بمسحة من القلق ، وتعكس التجاعيد الموجودة بجبهاتهم الكفاح والحروب التى خاضوها فى سبيل تدعيم المملكة ، ومثال ذلك رأس الملك « سيزوستوريس » الثالث (شكل ٦٢) الذى حلت به سيماء الكبر والقلق محل الشعور بالثقة والطمأنينة والألوهية البادية فى تماثيل الدولة القديمة .

ويلاحظ أن ما استجد على فن النحت فى هذه الفترة هو ظهور نماذج خشبية يمثل بعضها طائفة العمال وأتباع صاحب المقبرة . ولقد بدأت هذه

---

(١) يعتقد بعض الباحثين أن المسلة ترمز للشمس ويعتقد البعض الآخر أنها أسبغ لتزيد للإله الأعظم .

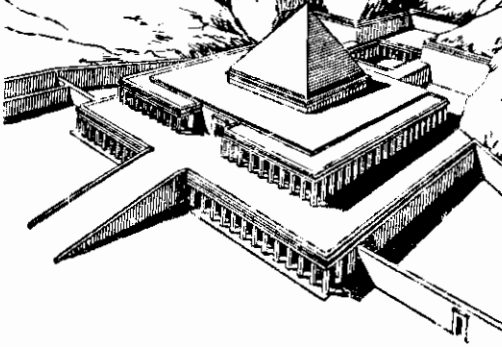

(شكل ٦٠) رسم تخطيطى لمقبرة الملك « منتوحتب » بالدير البحرى ، الأسرة الحادية عشرة ، الدولة الوسطى

(شكل ٦١) تمثال « الملك منتوحتب » ، من الحجر الجيرى الملون . الأسرة الحادية عشرة ، الدولة الوسطى . « المتحف المصرى بالقاهرة »

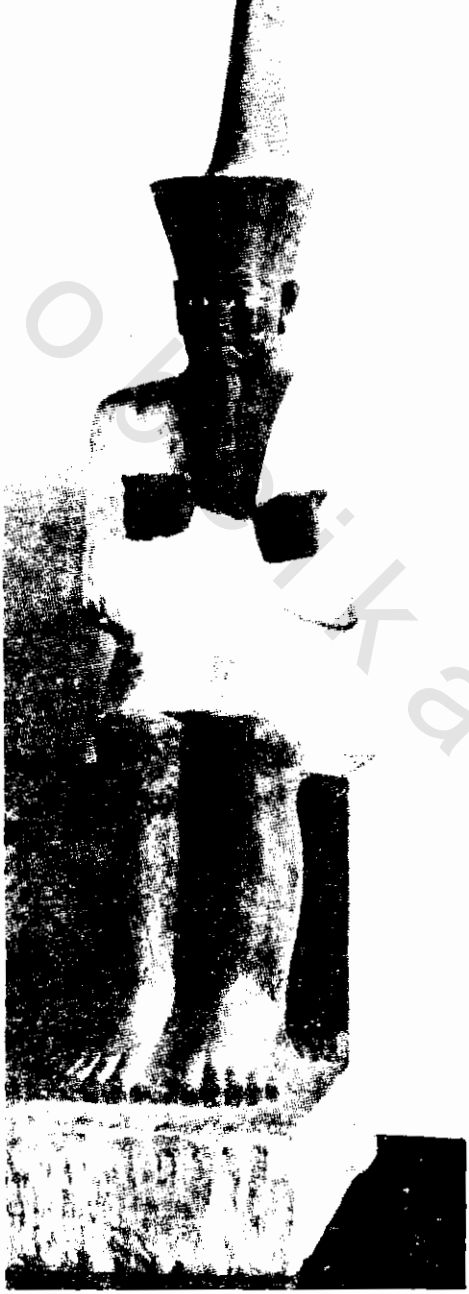

(شكل ٦٢) رأس تمثال خاص بالملك سيزوستريس الثالث . الأسرة الثانية عشرة ، الدولة الوسطى

العادة منذ أواخر عهد الأسرة السادسة ، ولكنها انتشرت فى عهد الدولة الوسطى ، ويمتاز بعضها بدرجة فنية عالية ، كتمثال الفتاة التى تحمل سلة فوق رأسها (شكل ٦٣) وهنا يخرج الفنان عن الطابع الملكى . فيظهر فنًّا شعبيًّا يمتاز بالبساطة . ونحصل من تلك الفترة أيضًا على تماثيل فخارية ملونة لحيوان فرس البحر (شكل ٦٤) .

التصوير :

تعتبر التصاوير الجدارية الموجودة فى مقابر حكام « بنى حسن » من أحسن ما أنتجه فنانو الدولة الوسطى . إذ أنها تتميز بالحيوية والحركة ومحاكاة الطبيعة . وأحسن مثل لذلك الصور الموجودة فى مقبرة الأمير « خمحتب Khemhotep » فى عهد الملك « سيزوستوريس الثانى » . فنرى فى إحداها مجموعة من الطيور فوق شجرة السنط النامية على حافة بركة (شكل ٦٥) . وتوضح هذه الصورة مقدرة الفنان المصرى وبراعته فى محاكاة الطبيعة . فنلاحظ أنه وزع الطيور المختلفة على فروع الشجرة ذات الأوراق الدقيقة فى تنسيق فنى جميل . كما أنه صور الملامح المميزة لهذه الطيور بدقة فائقة . فيظهر الهدهد بألوانه الطبيعية واقفًا بين مجموعة الطيور .

وعلى جدار آخر من هذه المقبرة نشاهد نقشًا لتابعين يقومان بإطعام حيوانين من فصيلة المها [1] وهنا نلاحظ تقدم الفنان فى فهم قواعد المنظور ، فبدلا من أن يرسم الكائنات على خط أرضية واحد ، نجد أنه يرسم الحيوان الموجود بالناحية اليسرى على خط أرضية مرتفع قليلا عن المجموعة اليمنى ، وذلك لإبراز العمق (شكل ٦٦) .

---

(١) يسمى هذا الحيوان أحياناً « أبو عفص أو أبو سيف » .

البحر ، من الفخار المحروق وملون باللون الأزرق. الدولة الوسطى «المتحف المصرى بالقاهرة »

لفتاة تحمل سلة فوق رأسها ويديها بطة ، الأسرة الثانية عشرة . الدولة الوسطى . « المتحف المصرى بالقاهرة »

(شكل ٦٥) تصوير جدارى وجد فى مقبرة النبيل « خنمحتب » مقابر بنى حسن . وتظهر فيها مجموعة من الطيور واقفة على شجرة السنط «١٩٢٠ ق. م »

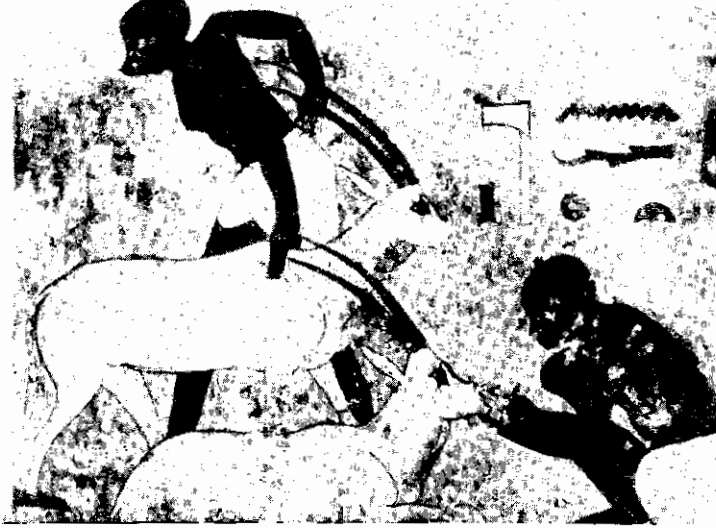

كل ٦٦) تابعان يطعمان حيوانين
رة (جدارية) وجدت على مقبرة
« بى حسن » « ١٩٢٠ ق.م »

كل ٦٧) تاج الأميرة « خنمت »
نوع من الذهب ومطعم بالأحجار
ف الكريمة ، الدولة الوسطى .
لتحف المصرى بالقاهرة »

كل ٦٨) قلادة الملك «سيزوستريس
ى » : الدولة الوسطى . « المتحف

الفنون التطبيقية :

تميزت الدولة الوسطى بمجموعة فريدة من الحلى الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة ، عثر عليها فى دهشور واللاهون[١]، ولدقة صناعتها وجمال صياغتها صرح بعض الباحثين بأنها تفوق كثيراً حلى الملك « توت عنخ آمون »[٢] . ومن أجمل ما عثر عليه تاج الأميرة « خنمت » (شكل ٦٧) ابنة الملك « أمنمحعت الثانى » وقلادة الملك « إيتا » . كما تعتبر القلادات والصدريات الذهبية التى عثر عليها فى قبر الملك« سيزوستوريس الثانى » (شكل ٦٨) و « الثالث » من أجود المصنوعات الذهبية فى تاريخ الفن المصرى .

---

(١) عثر على هذه المجموعة الأستاذ « فلاندرز بترى » .

(٢) يقول الأستاذ « بيكى » إن ما أخرجته مقابر الأميرات من عهد الأسرة الثانية عشرة يفوق كافة ما عثر عليه فى وادى الملوك .

obeikandl.com

فى معركة قادش وقد تمكن الملك رمسيس الثانى[١] سنة ١٢٩٨ ق.م من إنقاذ مصر بأعجوبة من أيدى « ميتالا Metalla » ملك الحيثيين وانتصر عليه فى معركة قادش سنة ١٢٨٦ ق . م ثم وقع معاهدة سلام مع خليفته الملك « حاتوسيل الثالث » فى سنة ١٢٧٨ ق . م وأكدها بزواجه من أميرة حيثية . وقد قوى نفوذ مصر فى عهده وامتدت حدود الإمبراطورية فى سورية حتى نهر « الأورنت » حاليًا « العاص » كما استمرت سيطرة المصريين على الجزء الجنوبى من بلاد « كنعان » . وقام خليفته « مرنبتاح »[٢] بإخماد الثورات التى قامت فى سوريا وليبيا .

وفى السنين الأخيرة من القرن الثالث عشر تمكنت قبائل من جنس آرى « نزحت من شمال آسيا الصغرى » من الاستيلاء على المدن الواقعة فى شمال سوريا وفينقيا وشجعها ذلك النصر على غزو مصر . لكن الملك رمسيس الثالث هزمهم فى سنة ١٢١١ ق . م وأنقذ الحضارة المصرية من نكسة أخرى .

والخمسمائة سنة بعد حكم رمسيس لم يوجد فى حكم مصر شخصية ملكية تستحق الذكر حيث تلى عصره عهد إقطاع . وضعف نفوذ ملوك الرامسة الذين نقلوا مقر حكمهم إلى الشمال وتركوا طيبة لحكم كهنة آمون إلى درجة أن تساوى قدر الكاهن « حرحور Herihor » رئيس كهنة آمون مع فرعون مصر فى سنة ١٠٩٠ ق . م . وتولى الحكم بعد ذلك أسرة دينية من كبار كهنة آمون وهى الأسرة الحادية والعشرون .

ويلاحظ مما أسلفنا أن مصر فى عهد الدولة الحديثة كانت متحدة تحت حكم ملوك أقوياء امتد نفوذهم شرقًا وجنوبًا خارج حدود الدولة المصرية مما دعا بعض الكتاب إلى تسمية هذا العهد بالعصر الذهبى . وبلغت فيه

---

(١) يعتقد بعض المؤرخين أن اليهود خرجوا من مصر فى عهده بينما يذكر البعض أن ذلك حدث فى عهد إخناتون .

(٢) جاء ذكر بنى إسرائيل لأول مرة فى الآثار المصرية فى لوحة خاصة بالملك مرنبتاح فى سنة ١٢٣٠ ق . م

العاصمة طيبة [١] درجة كبيرة من الرقى والرخاء لفترة طويلة لم تصل إليها مدينة أخرى فى الشرق الأوسط القديم . ولقد ظهرت طيبة كعاصمة فى الدولة الوسطى منذ عهد الأسرة الحادية عشرة بعد توحيد البلاد تحت حكم الملك « منتوحتب» ولكنها لم يكن لها شأن يذكر فى عهد الدولة القديمة علماً بأنه عثر فيها على مقابر يرجع تاريخها إلى حكم الأسرة السادسة .

وكان الفن متقدماً بطبيعة الحال فى طيبة نتيجة لحالة الرخاء السائدة ، خصوصاً بين طبقة الأمراء وكبار رجال الدولة. فشيدوا القصور وزينوها كما أقاموا المعابد للإله . واختار الملوك البر الغربى من النيل لإقامة مقابرهم فى الوادى الواقع خلف مرتفعات طيبة الغربية ويعرف الآن باسم « وادى الملوك [٢] » كما نحت النبلاء وكبار رجال الدولة مقابرهم فى سفح الهضبة وتميزت هذه المشيدات بنقوش بارزة وتصاوير جدارية وصلت إلى درجة كبيرة من الجمال والفخامة خصوصاً فى مقابر النبلاء وكبار رجال الحكم .

وبطبيعة الحال أدت هذه النهضة الاجتماعية التى سادت فى عهد الدولة الحديثة إلى نهضة فى الفن والصناعة وإلى ظهور طبقة من الفنانين والصناع تميزت أعمالهم بالجمال والدقة والروعة . ويكاد يكون لكل أسرة فى هذا العصر طابع خاص يميزها عن الأخرى. لذلك تشمل فنون الدولة الحديثة على أساليب وطرز متعددة فمن العمارة الضخمة إلى المشيدات ذات الوحدات الزخرفية الرقيقة ومن التماثيل الضخمة الجامدة إلى التماثيل المتحررة المعبرة الجميلة .

العمارة :

اهتم ملوك الدولة الحديثة بتشييد المعابد للآلهة فى أنحاء الدولة وكان أهمها ما يشيد للإله آمون إله طيبة . ولقد أصاب بعض هذه المعابد بعض الدمار حينما

---

(١) أطلق عليها هذا الاسم الإغريق ولكن هناك قولاً بأنها كلمة مصرية قديمة وسماها العرب الأقصر حين تخيلوا معابدها قصوراً . وكانت تعرف قديماً باسم « نو آمرن » أو « نو » .

(٢) باستثناء الملك إخناتون وجدت جميع مقابر الملوك فى هذه المنطقة .

أغار « الفرس » على مصر . كما أزال البطالسة بعض المعابد القديمة المنتشرة فى الجنوب الخاصة بالدولة الحديثة وأقاموا غيرها ولكن لحسن الحظ لم يمسوا معابد طيبة . وقد شيد ملوك الدولة الحديثة المعابد الجنائزية فى الضفة الغربية لطيبة وأهمها المعبد الذى أقامته الملكة حتشبسوت فى كنف التلال الصخرية للدير البحرى (شكل ٦٩) . وخصصت به جزءاً لعبادة الإله آمون . ويعتبر تصميمه من أروع ما قام به الفنان المصرى فى فن المعمار .

يتكون هذا المعبد من ثلاثة مسطحات فى مستويات مختلفة ، وتتصل هذه المسطحات ببعضها بواسطة طريق صاعد ينتهى عند السطح التالى ، وعلى جانبى الطريق مصاعد رواقان بها أعمدة ، وينتهى السطح الأخير بجسم الجبل الذى نحتت فيه قدس القداس ، ويختلف تصميم هذا المعبد الجنائزى عن معابد الدولة القديمة فى الجيزة . ففى معبد الملكة حتشبسوت ينتهى المعبد بحجرة الإله المنحوتة فى الكتلة الحجرية الصماء بينما ينتهى المعبد بالمقبرة الهرمية فى الدولة القديمة . وينافس تصميم معبد الملكة حتشبسوت أى بناء عظيم من عصر الدولة القديمة .

قام بهذا العمل العظيم مستشار الملكة ووزيرها . سنمت Senmut الذى ربما استمد فكرة المسطحات التى يعلو أحدها الآخر من معبد الملك « منتوحتب » «أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة» الواقع فى جنوب معبد الدير البحرى مباشرة (شكل ٦٠) . كما أقام لها « سنمت » مسلتين باسمها فى معبد الكرنك فى طيبة (شكل ٧٠) .

وصلت طيبة إلى قمة مجدها فى عهد الملك « أمنحتب الثالث » وكانت عبادة الإله آمون على نطاق واسع ، فشيد الملك معبداً فى الأقصر للإله آمون وزوجته« موت Mut وابنهما «خنسو Khonso »[1] (شكل ٧١) .وقدأضيفت له زيادات أخرى فى عهد الملك « رمسيس الثانى » . ويعتبر هذا المعبد فخر العمارة المصرية فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما أنه يمثل التصميم الجديد

(١) إله محلى يمثل القمر . وكان يرسم على هيئة ولد صغير فوق رأسه هلال ومن أعلاه القمر .

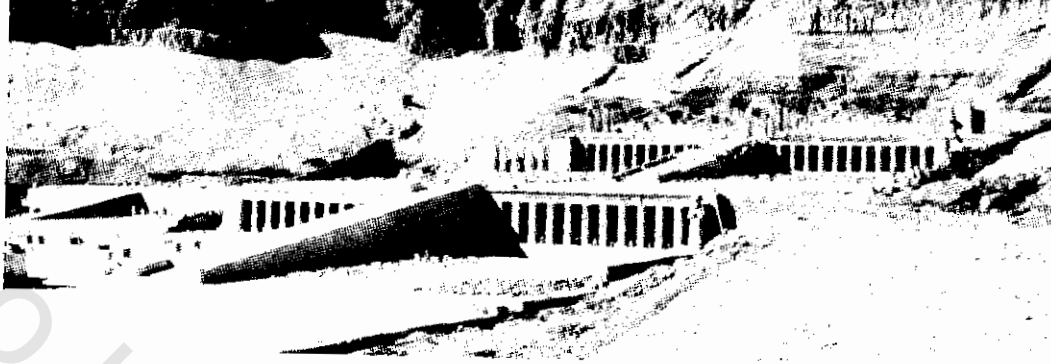

(شكل ٦٩) معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى ، الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة

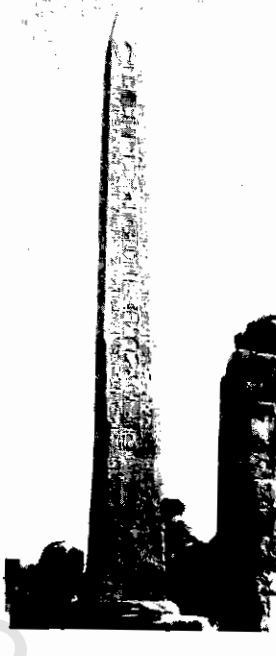

(شكل ٧٠) مسلة الملكة حتشبسوت الموجودة حالياً بمعبد الكرنك بالأقصر الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة

(شكل ٧١) معبد الأقصر الذى شيده الملك أمنحتب الثالث فى سنة ١٣٩٠ ق . م للإلهة آمون ، مت ، خنسو – ويظهر بالجهة اليسرى الفناء المكشوف والصرح اللذان أقامهما الملك رمسيس الثانى فى سنة ١٢٦٠ ق . م

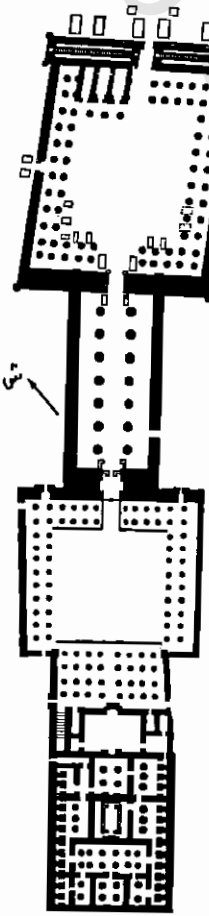

(شكل ٧٢) رسم تخطيطى لمعبد الأقصر نقلا عن كتاب « ن . دافز » . ش ٨٣ ، ٨٣ م .

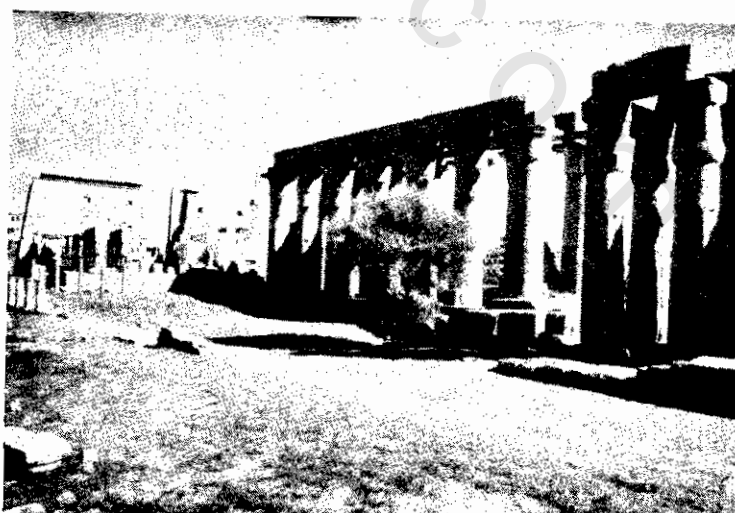

للمعبد الذى سادمنذ النصف الثانى لعهد الأسرة الثامنة عشرة . وهو المعبد المستطيل الذى تقع أجزاؤه على محور واحد، وتتميز أعمدة معبد الأقصر بجمال خطوطها وشكلها المستوحى من نبات البردى المتفتح أو المكمم . وبالرغم من جمال هذه الأعمدة الفخمة إلا أنه لا يمكن أن تقارن خطوطها ببساطة خطوط نصف الأعمدة المستوحاة من نبات البردى الموجودة فى معبد الملك «زوسر» .

تبارى الملوك المصريون فى تشييد معابد للآلهة للتقرب إليها كما قاموا بعمل زيادات فى المعابد المشيدة من عصور سابقة وخير مثال لذلك معبد الكرنك حيث ابتدئ فى تشييد أجزاء منه منذ عهد الدولة القديمة ، ثم استمر ملوك الدولة الحديثة فى إدخال إضافات عليه ، واستمرت الإضافات حتى العصر الرومانى . حيث اشترك فى تشييده ، من ملوك الدولة الحديثة «أمنحتب الثالث — سيتى الأول — رمسيس الأول والثانى والثالث» كما أضاف إليه الأحباش والبطالسة زيادات أخرى . ومن كثرة هذه الإضافات أصبح معقداً يصعب تتبع هندسته . ولقد حاول كل ملك أن يتفوق بمشيداته عن سابقيه ، لذلك نلاحظ فيه اختلافاً من حيث المادة التى اختيرت فى كل عهد . وكذا من ناحية طابع وذوق المهندس لذى قام بالعمل .

وتصميم المعبد المصرى بصفة عامة اتخذ شكلا يكاد يكون ثابتاً فى عهد الدولة الحديثة ، ومن مظاهر ذلك اشتراك معبدى الأقصر والكرنك فى هذا الطراز الذى يشيد على مساحة مستطيلة . وتقوم مبانيه على محور واحد . (شكل ٧٢) ويبتدئ من المحور بالمدخل الذى يحف به جداران عاليان بهما ميل خفيف . ويؤدى المدخل إلى فناء واسع مكشوف يحيط به رواق مسقوف ويحمل السقف أعمدة . « وقد كان هذا الجزء مخصصًا لعامة الشعب » . وفى مؤخرة الفناء من الناحية المواجهة للمدخل يوجد طريق صاعد يؤدى إلى بهو كبير مسقف ويعتمد السقف على عدد كبير من الأعمدة الشامخة . « ويخصص هذا الجزء للكهنة » وبطبيعة الحال كان الضوء لا يصل إليه بدرجة كافية .

وكان الضوء يتضاءل شيئًا فشيئًا كلما اتجه المرء إلى الداخل ويختفى تمامًا

ويصير ظلاماً حالكاً فى قدس الأقداس التى تقع فى مؤخرة المعبد. وهى عبارة عن مقصورة مستطيلة يوضع فيها تمثال الإله أورمزه . وإذا كان المعبد لأكثر من إله كان يخصص لكل إله حجرة، ويحيط بقدس الأقداس حجرات يوضع فيها ما يلزم لتأدية الطقوس الدينية ويحيط بالمعبد أسوار ضخمة من اللبن . وأمام الجدار الخارجى الذى يعرف « بالصرح » يوضع عادة تمثالان جالسان وآخران واقفان ومسلتان .

ابتدأ الملك سيتى فى بناء بهو الأعمدة المغطى فى معبد الكرنك (شكل٧٣) وأتمه الملك رمسيس الثانى. لقد تمكن المهندس الفنان فى عهد الأسرة التاسعة عشرة من إضاءة هذه القاعة المغطاة، ذلك بجعل الصفين الأوسطين من الأعمدة المقامة على المحور الأوسط أعلى قليلا من أعمدة الصفوف الجانبية بحيث يسمح الفراغ الناتج من التباعد بين السقفين بترك فتحات للإضاءة والتهوية . وتمتاز العمارة فى عهد الدولة التاسعة عشرة بالضخامة وتتمثل فى هذا البهو الذى يبلغ طوله أربعة وثمانين متراً وعرضه أربعة وخمسين متراً ، ولقد ساعد توفر الحجارة فى مصر على أن يبالغ الفنان فى استعمال الأعمدة الضخمة فى هذا المعبد حيث يبلغ عددها ١٣٤ عموداً موزعة فى ستة عشر صفاً ، وقطر العمود ثلاثة أمتار ونصف، وشكل العمود مستوحى من نبات البردى وينتهى تارة بزهرة النبات متفتحه فى أعمدة الممر الرئيسى وبالبرعم فى الأعمدة الجانبية .

ومع أن الأعمدة المصرية بصفة عامة هى إحدى تحف العمارة فى الدولة الحديثة إلا أن الفنان فى الأسرة التاسعة عشرة اعتمد فى أعماله على تأثير الضخامة أكثر من اهتمامه بالتفاصيل. فيلاحظ أن جسم العمود المستوحى من نبات البردى صار أسطوانياً أملس لا يمثل حزم البردى ، كما أن شكل التاج على هيئة زهرة واحدة وليست مجموعة من براعم النبات ، كما شاهدنا فى أعمدة الأسرة الثامنة عشرة فى معبد الأقصر . وتظهر العناية بالتفاصيل فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى العمودين السامطين المنحوتين من الجرانيت اللذين أقامهما الملك تحتمس (شكل٧٤) فى معبد الكرنك وزخرفهما بنقوش جميلة لزهرة اللوتس وزهرة البردى كناية عن

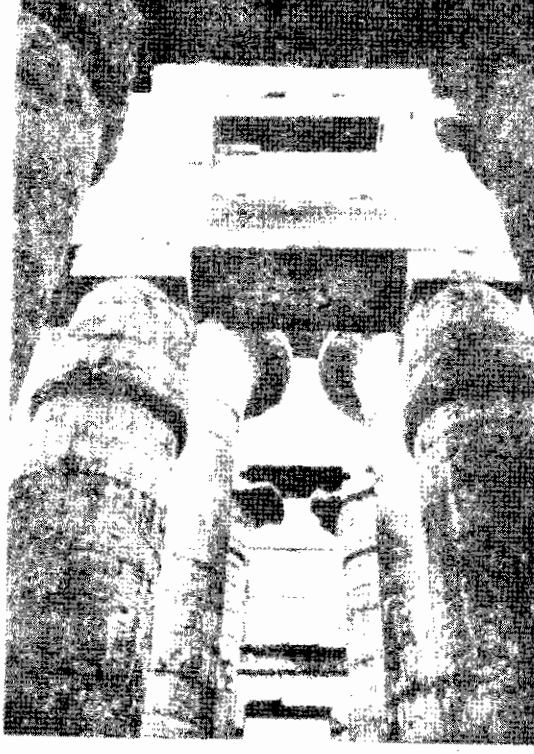

(شكل ٧٣) بهو الأعمدة المغطى بمعبد الكرنك شيد فى عهد الملكين سيتى الأول و رمسيس الثانى . الأسرة الثامنة عشرة . الدولة الحديثة

(شكل ٧٤) العمودان السامقان اللذان أقامهما الملك تحتمس الثالث بمعبد الكرنك . الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة

(شكل ٧٥) طريق الكباش أقامه الملك أمنحتب الثالث على جانبى الطريق الذى يصل معبد الأقصر بمعبد الكرنك . الأسرة الثامنة

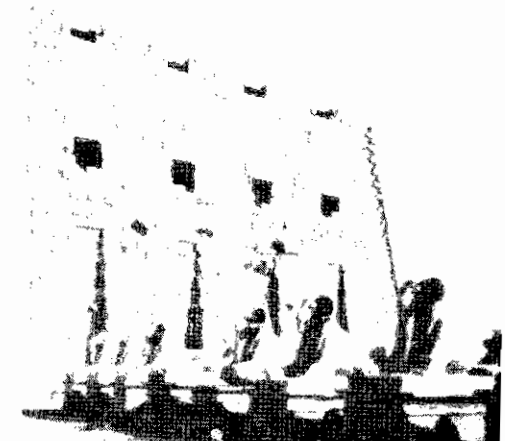

obeikandl.com

الوجهين القبلى والبحرى ، وكذلك فى الأعمدة المستوحاة من نبات البردى التى أقامها الملك أمنحتب الثالث فى معبد الأقصر . ولقد شاع استعمال العمود الحتحورى»[١] فى عهد الدولة الحديثة كما قل استعمال العمود النخيلى .

وقد وصّل الملك أمنحتب الثالث معبد الكرنك بعد أن شيد له بوابة ضخمة بمعبد الأقصر بطريق أقام على جانبيه صفين من تماثيل لها جسوم الأسود ورؤوس الكباش . (شكل ٧٥) .

وتظهر ضخامة فن المعمار فى عهد الأسرة التاسعة عشرة فى معبد « أبى سنبل » الذى نحت فى عهد الملك «رمسيس الثانى » فى الجبل فى جهة قرية أبو سنبل جنوب أسوان (شكل ٧٦) . ولا يمكننا أن ننكر عظمة هذا المعبد الذى زينت واجهته بأربعة تماثيل جالسة متصلة بالصخر تمثل الملك. ويبلغ ارتفاع التمثال الواحد واحداً وعشرين متراً. كما تتميز الأعمدة الداخلية بشكلها الآدمى (شكل ٧٧) ومع أن الملك رمسيس الثانى نسب إلى نفسه بعض الأعمال الفنية التى أنجزت فى عهد أسلافه إلا أنه كان بناء عظيماً ، فبجانب الإضافات التى قام بها لمعابد الأسرة الثامنة عشرة أقام معبداً جنائزياً فى « الرامسيوم » على طراز المعابد ذات المحور الواحد .

وتعتبر معابد الأسرة العشرين خاتمة مبانى الدولة الحديثة ولم يختلف طابع العمارة فى ذلك العهد كثيراً عنه فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، ومثال ذلك المعبد الجنائزى الذى أقامه الملك رمسيس الثالث فى مدينة « هابو Habu » كما أضاف معبداً فى الجهة اليمنى من معبد الكرنك .

النحت :

انتعشت أعمال النحت فى الدولة الحديثة بعد ما كان قد انتابها بعض الضعف أثناء فترة حكم الهكسوس لمصر . وبدأ الفنان يمارس قدرته الفنية التى

---

(١) هو عمود نقشت على جانبين فى أعلاه رأس الإلهة حتحور بوجه آدمى وأذنى بقرة .

(شكل ٧٦) معبد أبى سمبل المنحوت فى الجبل . قام بتشييده الملك رمسيس الثانى ، وتظهر بالواجهة أربعة تماثيل جالسة للملك . الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة

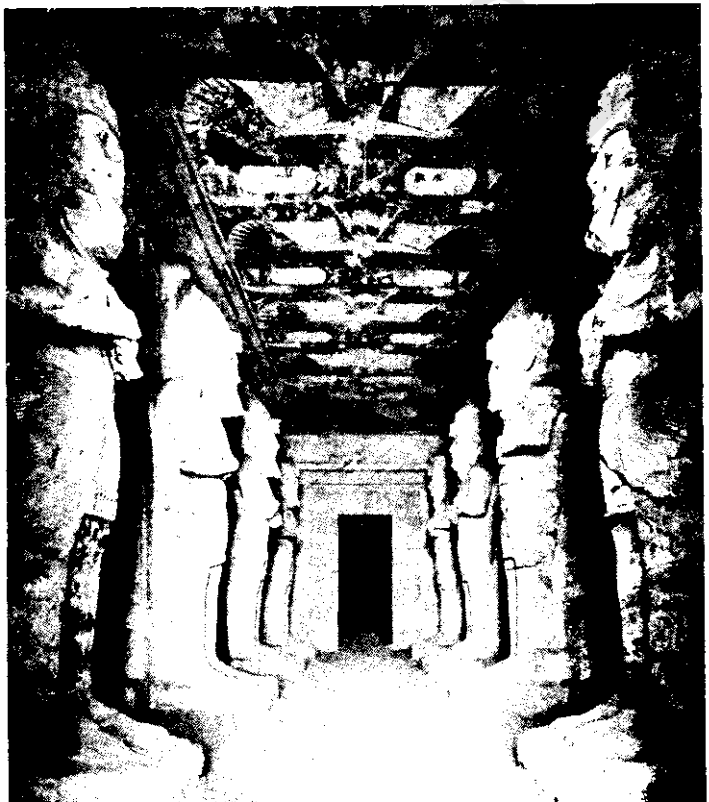

(شكل ٧٧) الدهليز الداخلى الذى يؤدى إلى قدس الأقداس بمعبد أبو سمبل

عرفت عنه فى تماثيل الدولة القديمة وظهرت تماثيل ضخمة بجانب التماثيل ذات الحجم الطبيعى . كما أن عناية الفنان لم تعد مقصورة على الوجه فظهر اهتمامه بدراسة الأعضاء كالأيدى والأرجل . ويلاحظ ظهور تطور فى طابع نحت التماثيل الملكية ، فيبدو تعبير على الوجه . وليونة فى الخطوط العامة ويعتبر هذا التغير مقدمة لفن النحت الذى يظهر بعد ذلك فى فن العمارنة . ومثال ذلك تمثال الملك « تحتمس الثالث » المصنوع من حجر الشست الذى عثر عليه فى الكرنك (شكل ٧٨) . ويعتبر هذا التمثال قطعة فنية عظيمة وذلك لمقدرة الفنان فى التعبير عن شبه ابتسامة هادئة تظهر على الوجه . ومع أن الفنان عبر عن شباب الملك فى صورة جميلة بخطوط قوية إلا أن وجه الملك ينقصه طابع الهيبة والعظمة الذى عرف فى تماثيل الدولة القديمة .

وتمتاز الفترة التالية من حكم الأسرة الثامنة عشرة بتطور كبير فى نحت التماثيل الملكية حيث خرج المثال عن التقاليد القديمة المتبعة فى نحت تماثيل الملوك وفضل تمثيلهم على سجيتهم وطبيعتهم . وأحسن مثال لذلك مجموعة تماثيل الملك إخناتون (شكل ٧٩) . وبدراسة هذا التمثال يلاحظ أنه لأول مرة فى تاريخ نحت التماثيل الملكية تظهر تماثيل فى شكل غير جميل تميزت بإطالة الوجه وكبر الرأس بالنسبة للعنق النحيل . كما تظهر الحرية الكاملة فى التعبير عن الحقيقة فى امتلاء البطن . وهذا التغيير يعد حدثًا جديداً فى التماثيل الملكية على نقيض ما كان متبعًا فى تماثيل الدولة القديمة التى اتسمت بالقوة والهيبة بجانب التعبير عن الكمال الجسمانى . والظاهر أن الملك كان يشجع الفنانين على هذا التطور حيث سجل فى أحد النقوش أنه كان يزور مرسم المثال[1] . ويبدو أن هذا التمثال كان ملونًا فقد وجدت به آثار ألوان كما يلاحظ أن الملك إخناتون يظهر مرتديًا تاج الوجهين القبلى والبحرى .

ويظهر تأثير فن العمارنة فى رأس الملكة نفرتيتى «زوجة الملك إخناتون» الموجودة فى المتحف المصرى (شكل ٨٠) وتمتاز هذه الرأس بدقة الملامح وليونة فى

---

(١) ذكر « بك » رئيس المثالين أن الملك كان يعلمه .

(شكل ٧٨) تمثال الملك «تحتمس الثالث» . «صنع من حجر الشست » الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة « المتحف المصرى بالقاهرة »

(شكل ٧٩) تمثال الملك أمنحتب الرابع « إخناتون » عثر عليه فى معبد الإله آتون ١٣٦٥ ق.م «المتحف المصرى بالقاهرة»

كل ٨٠) رأس من الحجر يصور الملكة نفرتيتى
١ ق. م الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة « المتحف
ى بالقاهرة »

ل ٨١) رأس من الحجر الجيرى الملون خاص بالملكة
مرتدية تاجاً ١٣٦٥ ق . م « متحف دالم برلين »

الخطوط . كما أن المتأمل فى الرأس الملونة الموجودة فى متحف برلين (شكل ٨١) يشعر بما يسرى فى الوجه من حيوية وجمال أنثوى عبر عنه الفنان دون الحاجة إلى التحفظ الكلاسيكى المعروف فى تماثيل الدولة القديمة للتعبير عن مركز الملكة .

وبانقضاء ثورة إخناتون الدينية والرجوع إلى عبادة آمون فى طيبة ، رجع طابع الفن إلى التقاليد السابقة واستأنف الفنان الطراز الفنى الذى عرف من قبل . إلا أنه لم يتخل تماماً عن طابع الوجوه المعبرة الجميلة ويتجلى ذلك فى آثار الملك توت عنخ آمون الذى عبر فيها الفنان عن شباب الملك الذى توفى صغيراً ويتضح ذلك من تمثال الملك الخشبى الموجود بمتحف القاهرة (شكل ٨٢) .

ويستمر تأثير مدرسة العمارنة فى بعض تماثيل الأسرة التاسعة عشرة ويبدو ذلك واضحاً من التعبير الموجود على وجه الملك رمسيس الثانى (شكل ٨٣) وتدل صناعة هذا التمثال على يد فنان بارع أكسب الحجر الصلد طبيعة الحياة حيث نجح فى التعبير عن ثنيات زى الملك الرقيق مما يدل على عناية فائقة . كما يمتاز هذا التمثال بجمال فى النسب والخطوط .

ظهرت فى الدولة الحديثة تماثيل ضخمة فى مواقع المعابد لا يمكن الاعتماد عليها فى الحكم على فن النحت فى هذه الفترة . وكان الغرض من صنعها أن تتسق مع العمارة الضخمة التى ترتبط بها ليتناسب حجمها مع حجم المعابد المشيدة فى هذه الفترة ، ومثال ذلك تمثالا ممنون[١] الموجودان فى سهل طيبة (شكل ٨٤) وربما يمثل هذان التمثالان الملك أمنحتب الثالث[٢] — وقد نحتا لوضعهما أمام

---

(١) أطلق الإغريق هذا الاسم على التمثالين وظن الرومان أنه يمثل « ممنون بن ايوس » إلهة الفجر ويقال إن أحدهما كان ينبعث منه أصوات غريبة كل صباح .

(٢) يوجد بالمتحف المصرى تمثالان بالحجم الطبيعى للملك أمنحوتب الثالث وزوجته تى وتعتبر هذه المجموعة أكبر مجموعة تماثيل معروضة فى المتحف المصرى .

شكل ٨٢) تمثال الملك توت عنخ
ن من الخشب الملون ١٣٦٠ ق . م
لمتحف المصرى بالقاهرة »

شكل ٨٣) تمثال الملك رمسيس
. عثر عليه فى معبد الكرنك
سرة الثامنة عشرة . الدولة الحديثة
حف مدينة تورينو بإيطاليا »

شكل ٨٤) تمثالا «ممنون» ويمثلان
« أمنحتب الثالث » ولقد صنعا
ص وضعهما أمام معبده الجنائزى
ة — الأسرة الثامنة عشرة — الدولة
ثة

مدخل المعبد الجنائزى الذى اندثر الآن ولا أثر لوجوده . ويبلغ ارتفاع كل منهما حوالى عشرين متراً .

ومن التماثيل الضخمة التى أقامها الملك رمسيس الثانى لتناسب ضخامة العمارة فى عهده . التماثيل الأربعة المنحوتة فى الصخر فى واجهة معبده بأبى سنبل (شكل ٧٦) ، وكذلك تمثاله المصنوع من الجرانيت الذى يبلغ ارتفاعه ١٧٫٥ متر وهو موجود فى معبد الرامسيوم .

النقوش البارزة :

تزين جدران معابد الدولة الحديثة عادة نقوش بارزة تصور مواضيع مختلفة . فعلى الجدار الخارجى وبالصحن المكشوف المخصص للشعب تسجل قصص انتصارات الملوك ومكاسبهم التجارية والحربية لتخلد ذكراهم . أما فى الجزء الخاص بالكهنة ، فتوجد به المواضيع الدينية التى تصور الاحتفالات والطقوس الدينية التى يقوم بها الكهنة .

ولعل أهم ما سجل على جدران معبد الدير البحرى الأحداث التى تسجل ازدهار التجارة فى عهد الملكة حتشبسوت ؛ فنرى نقوشاً تصور البعثات التجارية التى أرسلتها الملكة إلى البلاد المجاورة . ولقد أبدع الفنان فى توضيح البعثة التجارية إلى بلاد بنت [١] وأجاد التعبير عن وصف سكانها ومساكنهم ونباتهم وحيواناتهم وأسماكهم . كما تفوق أيضًا فى تسجيل الخصائص الذاتية للملكة بنت (شكل ٨٥) التى يتثنى جسمها من ثقل ما يحمله من لحم وشحم . ومن المواضيع الدينية نقش الفنان فى مهارة وإتقان قصة ولادة الملكة حتشبسوت من الإله « آمون ر ع » .

وكان أغلب الملوك يسجلون قصة نسبهم للإله آمون . فمن النقوش الطريفة الموجودة على جدران إحدى القاعات الداخلية لمعبد الأقصر قصة توضح نسب

---

(١) لم يتضح للآن ماذا كان يقصد « ببلاد بنت » ويظن بعض الكتاب أنها بلاد الصومال .

الملك أمنحتب الثالث للإله آمون فنرى نقشا يحكى قصة زواج الإله آمون «بالإلهة مت» بحضور الآلهة كلها وتنتهى القصة الطويلة بصورة الطفل المولود يرضع من التسع بقرات المقدسة «حتحور» وتسمى هذه القاعة بحجرة الولادة .

وتأخذ الانتصارات الحربية أحيانًا صبغة الرمز فى نقوش الأسرة الثامنة عشرة وهذا واضح فى صورة الملك «تحتمس الثالث» الموجودة على جدران معبده فى الكرنك . فنراه ممسكًا برءوس أعدائه الأسيويين بيد بينما يهوى «بمقمعة» يحملها فى اليد الأخرى على رءوسهم (شكل ٨٦) وتدل هذه الوحدة على استمرار طابع الفن المصرى منذ عهد الأسرة الأولى (شكل ١٣ ا) .

وقد امتاز عهد أخناتون بثورة فنية صاحبت الثورة الدينية وتشمل هذه الثورة الفنية أسلوب النحت البارز كما شملت النحت الكامل فتمثل الحقيقة وحدها ويبالغ فيها على أوسع نطاق كما يصاحب هذا العهد تغيير شامل فى اختيار المواضيع التى تزين جدران المشيدات الملكية. فى العمارنة عثر على دراسات كثيرة للملك وأفراد عائلته تصورهم فى حياتهم الخاصة فى أوضاع طبيعية لم تكن متيسرة قبل ذلك فنرى فى لوحة منقوشة نقشًا دقيقًا الملك والملكة يدللان أولادهما وتربط الأشعة الممتدة من قرص الشمس (آتون) بينهما (شكل ٨٧) .

ومن المواضيع الواقعية التى تصور أفراد الملك إخناتون فى جلسات طبيعية ، صورة ابنة الملك «إخناتون» جالسة على الأرض تأكل بطة ببساطة قد لا تتفق مع الوقار التقليدى الملكى (شكل ٨٨) . وهنا نلاحظ صراحة الفنان وحريته فى الخطوط المعبرة عن ثنايا جسد الفتاة .

وتختلف المواضيع المنقوشة على جدران قبور نبلاء الدولة الحديثة عن المواضيع المنقوشة على جدران المعابد . ويمثل أغلبها الأحداث الهامة فى حياة صاحب المقبرة. ومن أحسن مقابر الدولة الثامنة عشرة مقبرة النبيل «رعموزى Ramose» الذى كان يشغل منصب وزير الدولة فى عهد الملكين أمنحتب الثالث والرابع

بارز وجد على جدران معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى ١٤٨٠ ق.م

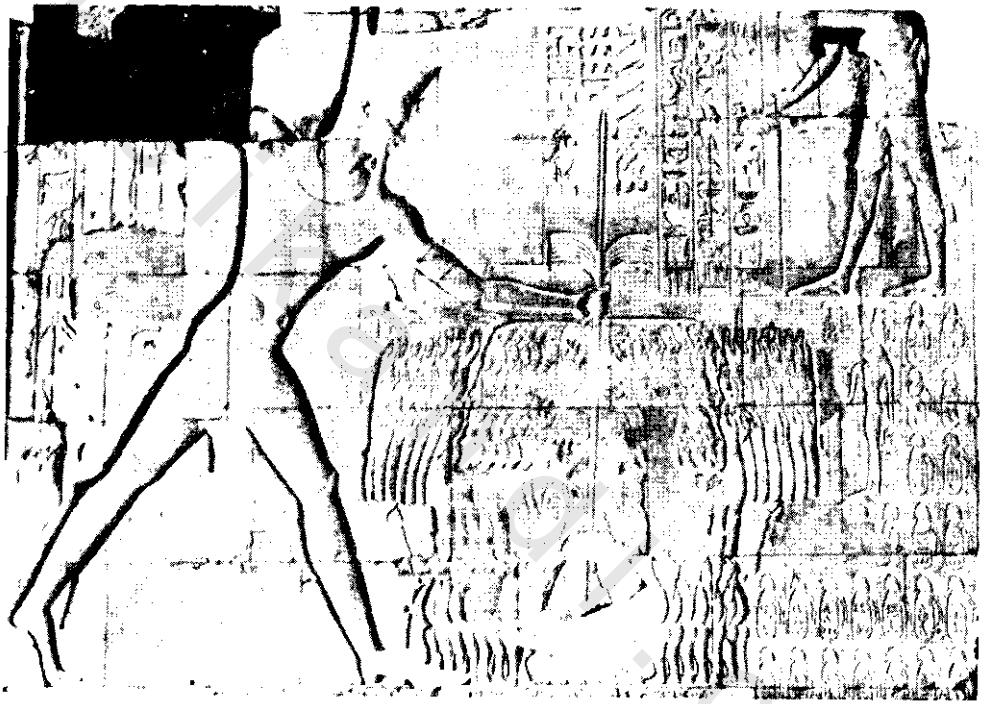

(شكل ٨٦) الملك تحتمس الثالث منتصراً على أعدائه الآسيويين. نقش وجد على جدار الصرح الذى أقامه فى الكرنك

(شكل ٨٧) الملك إخناتون مع العائلة. نقش على لوحة حجرية عثر عليها بتل العمارنة ١٣٦٥ ق. م – الأسرة الثامنة

(شكل ٨٩) نقش على جدار مقبرة النبيل «رعموزى» بطيبة. ويظهر شقيق النبيل مع زوجته. ١٣٧٥ ق. م الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة

« أخناتون » — ونجد فى نقوشها مظهر الجمع بين أسلوبى العهدين ، بين الأسلوب السائد فى عهد أمنحتب الثالث الذى امتاز بخطوط لينة جميلة ، وبين أسلوب مدرسة العمارنة الذى امتاز بالواقعية والصراحة .

ومن الأسلوب الذى يتميز بجمال الخطوط وليونتها نقوش الحفلة التى أقيمت بمناسبة عودة ابن صاحب المقبرة من سفر بعيد (شكل ٨٩) . وتوضح الخطوط رقة الملامح وجمالها ، كما يبدو على وجوه عائلة النبيل جمال الشباب الممتلئ حيوية وقوة تعبير . وتشهد هذه النقوش على مظاهر الثراء التى سادت ذلك العصر حيث زاد اهتمام الفنان بتسجيل الأشياء الدقيقة فى زينة السيدات . فتظهر الحلى المتنوعة من أقراط وأساور وعقود . وكذلك الشعور المستعارة الفخمة ... كما تسجل بدقة الثنيات الدقيقة فى ملابسهن الفضفاضة التى تشير إلى البذخ .

وقد يسجل الفنان فى بعض الأحيان نقوشًا لأفراد أسرة الملك على جدران مقابر النبلاء ، مثال ذلك صورة بنات الملك « أمنحتب الثالث » واقفات يسكبن الماء المقدس فى احتفال دينى (شكل ٩٠) المنقوشة على جدار مقبرة الأمير « خرويف Kheruef » .

وجمال الخطوط فى هذه الفترة لا يدانيه أى فن فى العالم ... وتشهد بذلك مقبرة الملك « حور محب » ... التى جمعت نقوشها بين جمال الخطوط السائد فى عهد الملك « أمنحتب الثالث » وواقعية أسلوب مدرسة العمارنة . فنرى فى أحد المناظر (شكل ٩١) العمال يجاهدون فى حمل قطعة ثقيلة من الحجر بحركات طبيعية معبرة لم يكن من السهل التفكير فيها قبل ذلك ... كذلك نلاحظ العناية الزائدة فى تسجيل ثنيات الزى الذى كان سائداً فى تلك الفترة . ولقد أدرك الفنان فى هذه الصورة قواعد المنظر من بعد ومن قرب فلا يشترك الأشخاص كلهم فى خط « أرضية » واحد .

وبفضل اتساع الإمبراطورية فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، أدخل على النقوش مواضيع جديدة ، لم يطرقها الفنان فى العهود القديمة . فتنتشر صور المعارك الحربية ، وتشغل مساحات كبيرة على جدران المعابد الخارجية . فنشاهد

(شكل ٩٠) من مقبرة النبيل خيرويف بطيبة . نقش على الجدار الحجرى يصور بنات الملك أمنحتب الثالث يحملن أوانى تستعمل فى الحفلات الدينية . الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة .

(شكل ٩١) نقش على جدار حجرى من مقبرة الملك حور محب ١٣٥٥ق.م وتظهر فيه طريقة نقل قطعة من الخشب. الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة « متحف مدينة بولونيا بإيطاليا »

(شكل ٩٢) « الملك رمسيس الثانى منتصراً فى معركة قادش » نقش على جدار صرح معبد الرامسيوم بطيبة ١٢٦٠ ق . م الأسرة الثامنة عشرة –

على جدران معبد الكرنك مناظر تسجل انتصار الملك « سيتى الأول » على الليبيين » ، وانتصار الملك « رمسيس الثانى » على « الحيثيين » .

ويعتنى الفنان بتوضيح تفاصيل مناظر القتال ، كما يغالى أحياناً فى تسجيل الحركات المختلفة . ويشاهد ذلك واضحاً فى النقوش الموجودة على واجهة « معبد الرامسيوم» (شكل ٩٢) التى تسجل انتصار الملك «رمسيس الثانى» على ملك حلب فى معركة « قادش » . فيلاحظ ما أحدثه القتال من اضطرابات بين الجنود الذين لا يزال بعضهم يقاوم فى النهر بين جثث الغرقى . وتتميز نقوش هذا العهد باستعمال الحصان فى جر العربات الحربية . فنرى الملك «رمسيس» راكباً عربته يجرها حصانان . ولم يكن ذلك معروفاً فى عهد الدولتين القديمة والمتوسطة . ويقال إن الهكسوس هم الذين أدخلوا استعمال الحصان فى مصر لجر العربات الحربية .

يستمر ظهور المناظر الحربية فوق جدران المعابد فى عهد الأسرة العشرين حيث سجل الملك « رمسيس الثالث » فوق جدران معبده صوراً لانتصاره على شعوب البحر المغيرة على مصب النيل . كما أننا نشاهد له نقوشاً أخرى تصوره وهو يمارس هواية الصيد المحببة لدى الملوك ، فنراه يصطاد الثيران البرية فى الأحراش (شكل ٩٣) . وتعتبر هذه الصورة من أجمل النقوش التى تمتاز بالواقعية حيث تمكن الفنان من تسجيل بعض التفاصيل الدقيقة التى تصبغ الموضوع بطابع الحيوية ، كصورة الثور الواقع فى الأحراش ، والثور الذى يجرى بكل قوته للهرب من الملك الذى أوشك على صيده . ولقد أبرز الفنان الرعب والتعب الظاهرين على وجه الثور ولسانه المدلى من شدة الجهد . وتتميز نقوش هذا المنظر بخطوط عميقة الغور .

التصوير :

انتشر فن التصوير الجدارى بكثرة فى عهد الدولة الحديثة ، وحلت التصاوير الجدارية الملونة محل النقوش البارزة الملونة فى زخرفة جدران المقابر ،

(شكل ٩٣) « الملك رمسيس الثالث يصطاد العجول البرية » نقش على واجهة صرح المعبد الجنائزى بمدينة « هابو » بطيبة

(شكل ٩٤) وفد حامل الهدايا من جزيرة كريت – تصوير جدارى ملون من مقبرة النبيل سنمرة . ويلاحظ الاهتمام بتوضيح الزى الخاص بأهل الجزيرة كذلك الوحدات المنقوشة على الأوانى الفضية – ١٤٨٥ ق.م

(شكل ٩٥) تصوير جدارى من تل العمارنة يصور اثنتين من بنات الملك إخناتون ١٣٦٥ ق . م – « متحف أشموليان بأكسفورد »

[لوحة رقم ٣]

كرسى الملك « توت عنخ آمون » عثر عليه فى مقبرته بطيبة – ١٣٦٠ ق.م. الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة ، ويلاحظ أن الكرسى مصنوع من الذهب ومرصع بأحجار ملونة شبه كريمة – « المتحف المصرى بالقاهرة » .

[لوحة رقم ٤]

ن زجاجية ملونة مختلفة الأشكال والألوان عثر عليها فى سقارة ، الأسرة الثامنة عشرة . حاليًا فى مجموعة خاصة
حف بروكلين .

وأحسنها ما وجد فى مقابر النبلاء لا فى المقابر الملكية . وذلك لاحتوائها على مواضيع مختلفة من حياة صاحب المقبرة، مما أعطى الفنان ثروة كبيرة من المواضيع المختلفة، غطى بها جدران المقبرة وسقفها فى بعض الأحيان . وكانت مناظر الحياة اليومية تسجل على جدران المقبرة القريبة من المدخل. أما المناظر الجنائزية فتوجد على جدران المقبرة الداخلية .

وصلت مصر فى ذلك العهد إلى قمة مجدها السياسى . وتقرب لها ملوك البلاد المجاورة بتقديم الهدايا لملوكها. مما ساعد الفنان على اختيار مواضيع جديدة فى تزيين الجدران . ومن هذه المناظر ما عثر عليه فى مقبرة الأمير « سنمت » — « مستشار الملكة حتشبسوت » — حيث نرى الوفود الأجنبية المحملة بالهدايا (شكل ٩٤) . ويلاحظ دقة الفنان فى رسم الوحدات الحيوانية المنقوشة التى تزخرف الأوانى الفضية المقدمة من وفد « كريت » .

ومن الملاحظ أن أسلوب التصوير فى أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة كان يقتصر على الاهتمام بالخط الخارجى ،وتملأ بعد ذلك المساحات بالألوان، ولم يكن هناك اهتمام بتوضيح الضوء والظل . ولكن ذلك تغير فى عهد «العمارنة » للتطور الفنى الذى تميز بالواقعية . فعثر فى « تل العمارنة » على جدار به صورة ملونة لاثنتين من بنات الملك « أخناتون » جالستين على حشية فى وضع طبيعى (شكل ٩٥) .

ومن مجموعة صور « العمارنة نستدل على أن الفنان قد زاد ميله للمناظر الطبيعية كما اهتم بتسجيل دقائق النباتات والحيوانات كموضوع مستقل . حيث عثر على ثلاثة جدران بالقصر الملكى مغطاة بمنظر واحد لمجرى مائى ، ينمو فيه نبات البردى واللوتس . ويقف فوق النبات أنواع مختلفة من الطيور [١]. كما أنه عثر على جدار به صورة لبحيرة تحيط بها الأزهار وتحوم حولها الطيور .

ومن المؤكد أنه كانت توجد تأثيرات فنية بين مصر وجزيرة كريت فى ذلك

---

(١) عثر على هذه المجموعة الأستاذ « بترى » .

العهد ، وذلك لوجود علاقات تجارية بينهما . حيث وجد على جدران قصر ملك « كنوسس Knossus » – عاصمة كريت – صور ملونة ، تأثرت وحداتها بالفن المصرى . كما تأثر الفنان المصرى فى نقوش سقف مقبرة من مقابر الأسرة الثانية عشرة لطيبة (شكل ٩٦) بالوحدات الأجنبية التى شاهدناها محفورة على الأوانى الفضية المهداة من وفد كريت (شكل ٩٤) . ويظهر التأثير المصرى مرة أخرى فى الصور الموجودة بالمقابر الملكية (شكل ٩٧) بمدينة « مسينا » ، فنلاحظ أنها مقتبسة من وحدات موجودة فى مناظر الصيد المصرية (شكل ٩٨)

ولقد بلغ الترف غايته ، وعم أكثر طبقات الشعب فى عهد الدولة الحديثة ، وخصوصًا طبقة النبلاء وكبار رجال الدولة ، وكان لانتشار الرخاء أثره فى الفن المصرى . فتكررت مناظر الحفلات على جدران مقابر النبلاء . وظهرت فيها السيدات بملابس فاخرة ذات ثنيات عديدة يتمتعن بمشاهدة الرقص وسماع الغناء .

وتعتبر مقبرة النبيل « نخت » الذى كان يشغل منصب كاهن للإله آمون فى أواخر عهد الدولة الثامنة عشرة خير مثال لدراسة هذه الحفلات المصورة ، فمن منظر لحفلة فى قصر الأمير نرى فى جزء منها صورة لفرقة موسيقية مكونة من راقصة وعازفتين يحملان أدوات موسيقية (شكل ٩٩) وكان من المتبع فى ذلك العهد رسم الراقصات والفتيات الصغيرات عرايا . ويلاحظ فى هذه الصورة تحرر الفنان من التقاليد المعروفة فى رسم الجزء الأسفل للأشخاص من الناحية الجانبية . فصور الراقصة فى وضع شبه أمامى ، مما لم يكن متيسراً من قبل . كما نلاحظ أن الفنان رسم أجسام العازفات من خلال الثياب الشفافة ، ويتضح التحرر من تقاليد الفن القديم وتأثير «العمارنة» فى تسجيل تفاصيل لم تكن تظهر من قبل كرسم بطن قدم إحدى العازفات علاوة على تصويرها فى وضع أمامى كامل على جدران إحدى مقابر ذلك العصر (لوحة ملونة ١) .

ولم تقتصر مقبرة « نخت » على مناظر الحفلات بل تظهر فيها صور توضح هواياته . وأهمها صيد الطيور والأسماك (لوحة ملونة ٢) فيظهر الأمير مرسومًا

(شكل ٩٦) زخارف ملونة لوحدات من « رءوس ثيران » عثر عليها فى سقف مقبرة من الأسرة الثامنة عشرة بطيبة

(شكل ٩٧) « قط يهاجم طائراً ليفترسه بفمه بينما هو واقف على طائر آخر » تصوير جدارى عثر عليه فى أحد المقابر الملكية بمدينة « منّينا »

(شكل ٩٨) تصوير جدارى من مدرة ... غير معروف صاحبه من عهد الملك أمنحتب الثالث ويلاحظ وجود القط الذى يتقمص على طائر بفمه وتلمس أرجله طائراً آخر بينما يظهر نبات البردى النامى فى الماء . المتحف البريطانى »

(شكل ٩٩) فرقة موسيقية مكونة من ثلاث فتيات – جزء من تصوير جدارى بمقبرة النبيل « نخت » بطيبة . الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة

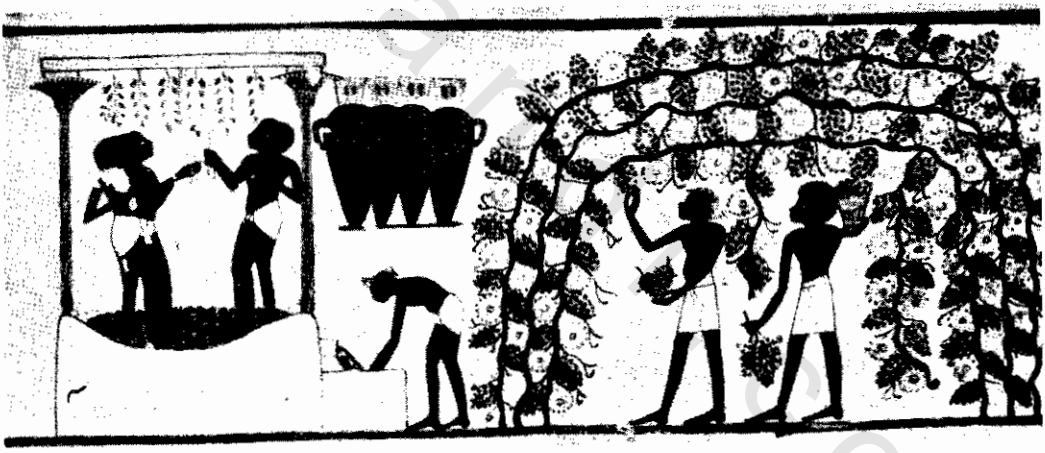

(شكل ١٠٠) « مراحل تحضير النبيذ » تصوير جدارى ملون من مقبرة الأمير « نخت » بطيبة

(شكل ١٠١) « النساء الباكيات » تصوير جدارى ملون من مقبرة الأمير « رعموزى» بطيبة

مرتين : واقفاً مع أفراد أسرته فى قارب من سيقان البوص . وقد استخدم الفنان نبات البردى النامى على حافة مجرى مائى . كخلفية للصورة فنراه فى الجهة اليسرى يحمل « بومرانجاً »[١] . ودمطراً[٢] ليصطاد بهما الطيور . ومرة أخرى فى الجهة اليمنى يصطاد السمك . ويتضح اهتمام الفنان بدراسة الطبيعة فى رسمه حشرة السرمان والفراشة اللتين تحومان بين النبات . وكذلك الزهور والأسماك الموجودة فى المياه التى رسمها على هيئة خطوط متعرجة . كما يظهر حبه لمحاكاة الطبيعة فى رسم الطيور المذعورة من موكب الصيد .

ومن صور العامة التى تظهر بالمقبرة . نجد صورة توضح المراحل المختلفة التى تمر بها صناعة النبيذ وتعبئته (شكل ١٠٠) . فنراهم يقطفون العنب . ثم يعصرونه بأرجلهم . ويسيل العصير من صنبور إلى حوض صغير ثم يعبأ فى الجرار .

وكانت مناظر البكاء على الميت تسجل بتفاصيلها المختلفة من حركة ومشاعر فنشاهد من مقبرة النبيل « رعموزى » صورة لمجموعة من النساء الباكيات بوجوه حزينة يرفعن أذرعهن فى الفضاء (شكل ١٠١) .

وقد تغيرت مواضيع المناظر التى تغطى مقابر النبلاء منذ أواخر عصر الدولة التاسعة عشرة . فقلت المناظر التى تمثل حياة صاحب المقبرة وكثرت المواضيع الدينية .

الفنون التطبيقية :

كان للثراء أثره فى المصنوعات الدقيقة ، ويدل على ذلك الآثار التى عثر عليها المنقبون فى مقابر الدولة الحديثة . وتكون مجموعة الآثار التى عثر عليها فى مقبرة الملك « توت عنخ آمون » أحسن مثل لدراسة هذا النوع من الفنون حيث وجدت المقبرة سليمة لم يمسسها اللصوص بعكس المقابر الملكية الأخرى .

---

(١) أداتان تستعملان لإصابة الطيور عند صيدها .

(٢) دمية على شكل طائر يحملها الصياد لتتجمع حولها الطيور .

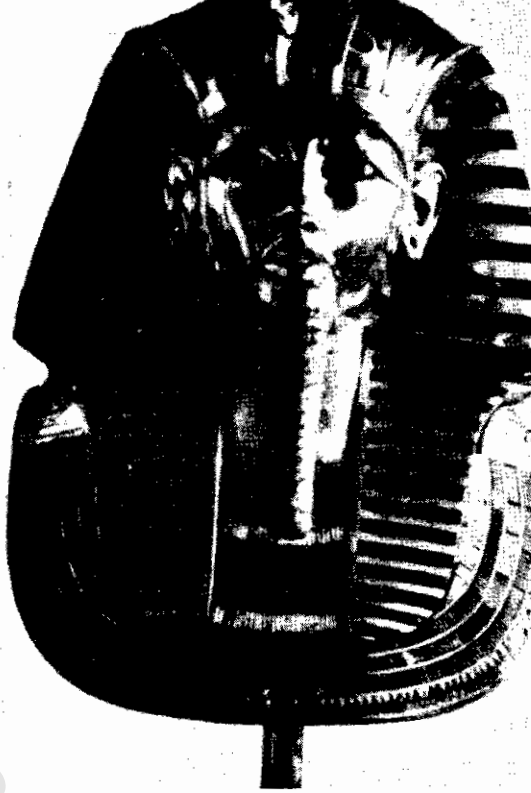

(شكل ١٠٢) قناع الملك « توت عنخ آمون » مصنوع من الذهب ومطعم بالأحجار نصف الكريمة « المتحف المصرى بالقاهرة »

(شكل ١٠٣) إناء من الألبستر مشكل على هيئة زهرة اللوتس المتفتحة والأيدى على شكل البراعم . وجد فى مقبرة الملك « توت عنخ آمون» « المتحف المصرى بالقاهرة »

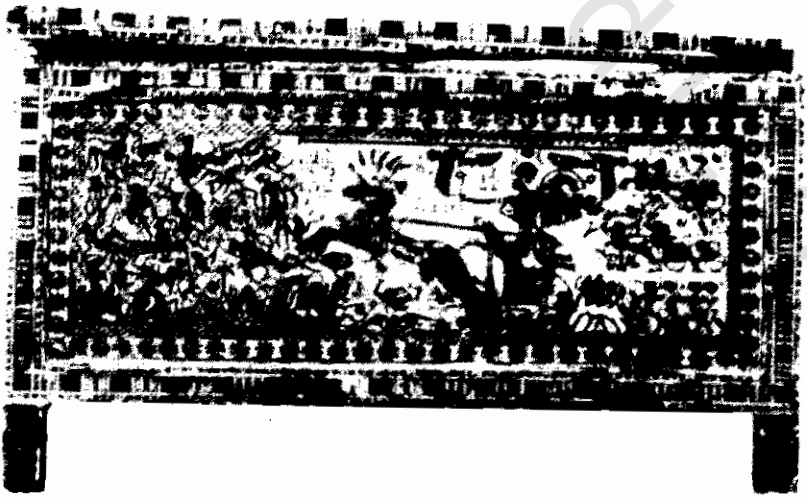

شكل ١٠٤) صندوق الخشب وبه مناظر ملونة ور الملك « توت عنخ » فى ميدان القتال . تحف المصرى بالقاهرة»

(شكل ١٠٥) علبة خشبية لوضع مساحيق الزينة على شكل بطة واليد على هيئة فتاة تسبح . الأسرة الثامنة عشرة – الدولة الحديثة « المتحف المصرى بالقاهرة »

ومن آثار هذا الثراء كرسى الملك الموشى بالذهب. وتصور نقوشه المحفورة الملك جالساً على سجيته . ومن أمامه الملكة تعطره (لوحة ملونة ٣) ويظهر فى جلسة الملك الطبيعية البعيدة عن طابع الجمود الملكى تأثير مدرسة « العمارنة » وتدل صناعة قناع الملك وتابوته الذهبى المطعمين بأحجار ملونة (شكل ١٠٢) على ذوق رفيع ، ودقة فى الصنع . وضعت فنان ذلك العصر فى مرتبة يستطيع أن يفخر بها . ولقد تقدمت صناعة الأوانى الحجرية فى ذلك العهد فنلاحظ ان الفنان استوحى نبات زهرة اللوتس المتفتح والمكمم فى عمل آنية من الألبستر عثر عليها فى مقبرة الملك توت عنخ آمون تنم عن ذوق فنى رفيع (شكل ١٠٣) . ولقد بلغت مهارته القمة فى الصندوق الخشبى المزخرف بمناظر صيد السباع وحيوانات الصحراء من جهة . وحروب الملك مع الأسيويين والنوبيين من الجهة الأخرى . (شكل ١٠٤) وبالرغم من صغر المساحة التى رسم عليها الفنان صوره نجد أنه أجاد توضيح حماس الصيد الممتلئ حيوية . ومعمعة القتال المليئة بالحركة . ولقد زخرفت العلب الخشبية المستعملة لمساحيق الزينة فى ذلك العصر . فنرى إحدى هذه العلب منحوتة على شكل بطة عائمة تحملها فتاة سابحة على يديها (شكل ١٠٥) ويرجع تاريخ هذه العلبة إلى الأسرة الثامنة عشرة .

ولا يسعنا إغفال التقدم الفنى العظيم الذى ظهر فى صناعة الأوانى الزجاجية الملونة فى تلك الفترة . ويشهد على ذلك أوانى متعددة الألوان والأشكال [لوحة ملونة ٤] .

الفصل الخامس

العصور المتأخرة من الأسرة (٢٢ إلى الأسرة ٣٠)

٩٥٠ ق . م - ٣٤١ ق . م

ويتخلله (العهد الصاوى - الأسرة السادسة والعشرون)

تمهيد تاريخى :

كان من أثر الفوضى التى سادت البلاد نتيجة لضعف ملوك الرمامسة أن توالى على الحكم عهود معقدة غير واضحة تخللها حكم أجنبى للبلاد فتناوب الليبيون والأحباش حكم مصر فى فترة الأسرات الثانية والعشرين والثالثة والعشرين .

ومكنت هذه الفوضى الآشوريين من غزو مصر فى سنة ٦٧١ ق . م وتقدم الملك « آشور بانيبال » إلى طيبة وسلبها ورجع بعد ذلك إلى الشمال وترك الجنوب لحكم الأحباش . ولكن (بسمتيك) الأول « أحد أمراء سايس » تمكن من طرد الغزاة والاستقلال بحكم مصر فى سنة ٦٦٣ ق . م وأسس الأسرة السادسة والعشرين . واسترجع سوريا وأعاد لمصر مجدها القديم . حاول ابنه « نكاو Nechau » أن يتوسع فى فلسطين وقتل ملك يهودا فى معركة « مقديشو » ولكن أحلامه باستعادة مجد مصر وإنشاء إمبراطورية كبيرة تمتد إلى حدود بلاد النهرين تبددت بظهور قوة بابل تحت حكم الملك نبو خد نصر » .

يزول حكم الأسرة السادسة والعشرين بغزو الفرس لمصر فى عهد الملك الفارسى « قمبيز » وذلك فى سنة ٥٢٥ ق . م ويستمر حكم الفرس لمصر لمدة قرن ونصف تتخللها فترات استقلال قصيرة ويحكم مصر خلال هذه الفترة الأسرات السابعة والعشرون والثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون . ثم يتمكن بعد ذلك الملك « نكتانبو Nectanbo » من ملوك الأسرة الثلاثين من طرد الغزاة

والاستقلال بحكم مصر فى سنة ٣٧٥ ق . م لكن الفرس عادوا ثانية للسيطرة على مصر وحينذاك ومنذ ذلك الحين لم يحكم مصر ملك من أصل مصرى حيث غزا الإسكندر المقدونى مصر سنة ٣٣٢ ق . م وكان ذلك خاتمة العهد المصرى العظيم .

يضعف الفن المصرى بانتهاء حكم ملوك الأسرة العشرين ، ولو أن تأثير فنون « طيبة » يستمر ظهوره لفترة بسيطة فى آثار الأسرة الحادية والعشرين بعد انتقال مركز الحكم إلى الشمال . إلا أنه فى الفترة ما بين عهد الأسرة الثانية والعشرين والخامسة والعشرين يزول هذا التأثير ويعود الفنان إلى أسلوب الدولة القديمة وتتهيأ البلاد للفن « الصاوى » الذى يظهر فى عهد الأسرة السادسة والعشرين . ويمثل الفن « الصاوى » آخر مراحل الفن المصرى العظيم .

العمارة :

لم يبق للأسف أثر للمعابد التى قال « هيرودوت » إنه رآها فى عهد الأسرة السادسة والعشرين ولكن يمكن أن نكون فكرة عن هذه المعابد فيما بقى من معابد الأسرة الثلاثين ومعابد البطالسة التى لا تزال قائمة والتى هى بدون شك استمرار لتلك المعابد .

النحت والنقوش البارزة والفنون التطبيقية :

لم يعثر على تماثيل كثيرة من العهد الصاوى ، ومن الأمثلة القليلة الموجودة (شكل ١٠٦) يلاحظ أن أسلوب النحت الصاوى طغت عليه طريقة تقليد فنون الدولة القديمة . لكن فنان ذلك العهد الذى رأى تماثيل الدولة القديمة وافتتن بها أراد إظهار الزى والحركات ولذلك لم يصل تقليده إلى الدقة التى امتازت بها تماثيل الدولة القديمة . ولم يكتف بالأحجار الجيرية بل أكثر من استعمال حجر البازلت مما ساعد على إظهار الكتل والسطوح فى التماثيل المصقولة ، ويظهر الاهتمام بتسجيل ملامح الوجه بدقة فى تمثال من البازلت (شكل ١٠٧)

لبازلت من العهد الصاوى « من
مجموعة خاصة »

(شكل ١٠٧) تمثال الكاهن
« بديامينوتب » العهد الصاوى
« متحف برلين »

(شكل ١٠٨) قطة من
البرونز – العهد الصاوى « المتحف

استوحى الفنان فى تصميمه الكتلة الحجرية المكعبة وقد كان ذلك شائعًا فى التماثيل الجالسة فى عهد الدولة القديمة .

أما النقوش البارزة فى المرحلة الصاوية فلم يكن لها طابع مميز بل كانت تقليداً لنقوش الدولة القديمة مع تسجيل ما بها من التفاصيل الدقيقة .

ومن الصناعات الدقيقة التى صنعت فى هذه الفترة عثر على أوان معدنية تدل صناعتها على بساطة جميلة فى خطوطها . كما عثر على تماثيل برنزية لبعض الحيوانات (شكل ١٠٨) .

وتتميز آثار هذه الفترة بتوابيت بها جثث لثيران عثر عليها فى «سيرابيوم» سقارة . وهذا يوضح تقدير أهل هذه الفترة للعجل « أبيس » ، وكانوا يعتقدون أن « الإله بتاح » قد تقمصه .